التعليقاتُ النقية
على
مَنظُومةِ شَيخ الإسْلام ابن تيْمية
في الردِ على القدريةِ

تأليف
الشيخ العلامة المحدث
أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

دار الكتاب والسنة

التَّعْلِيقَاتُ النَّقِيَّة

عَلَى

مَنْظُومَةِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّة

فِي الرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ

شرح فضيلة الشيخ

يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْحَجُورِيُّ

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة ولا يجوز طباعة
أو تخزين المادة العلمية

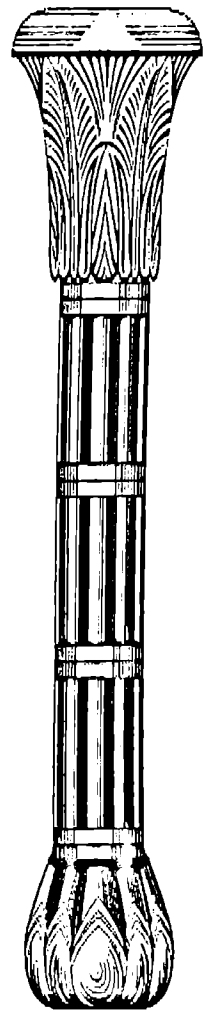

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٣٤٧٦

الطبعة الأولى

دار الكتاب والسنة للطباعة والنشر والتوزيع

٥ ش أحمد عبد الله متفرع من ش عين شمس – القاهرة – جمهورية مصر العربية

جوال: ٠١٧١٥٥٠٣٠٧ - ٠١٠٠٣١٢٩١١ - ٠٠٢٠٢٤٩٧٥١٧٩

موقعنا على الإنترنت: www.dar_ketabsunah.com

للتواصل عبر الماسنجر: dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

dar_alktabwalsunnah@yahoo.com

البريد الإلكتروني: marketing@dar_ketabsunah.com

إدارة التسويق: production@dar_ketabsunah.com

إدارة الإنتاج: admin@dar_ketabsunah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الـمُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد فكان من محفوظات الولد الطالب يوسف بن يحيى القيسي حفظه الله ووفقه هذه المنظومة التائية في الرد على ذلك القدري الجبري على لسان شخص من أهل الذمة، اشتملت على عدد من شُبَه القدرية، فرد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في أبيات مفيدة في بابها، ولما قرأها الولد يوسف حفظه الله كما هو المعتاد في قراءة هذه المختصرات عندنا، رأيت أن بعض الكلمات تحتاج إلى حل وتعليق مختصر، فيسر الله ذلك بدون تكلف، ولا تقصد لشرحها.

وقامت الفاضلة أم عبد الله بتفريغ مادتها المسجلة من الشريط واعتنت بها؛ رغبةً منها في نشر الخير إن شاء الله، فجزاها الله خيرًا.

تَرْجَمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رحمه الله

قال الذهبي رحمه الله في "تذكرة الحفاظ" (٤/ ١٤٩٤): ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع، شيخ الإسلام، عَلَم الزهاد، نادرة العصر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم بن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني أحد الأعلام.

وُلِدَ في ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مائة...، وسارت بتصانيفه الركبان، لعلها ثلاث مائة مجلد، حَدَّث بدمشق، ومصر، والثغر، وقد امتحن، وَأُوذي مراتٍ، وحبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية، وبقلعة دمشق مرتين، وبها توفي في العشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبع مائة، في قاعة معتقلًا، ثم جهز وأُخرج إلى جامع البلد، فشهده أمم لا يحصون، فحزروا بستين ألفًا.اهـ

وقد أفردت مجلدات في سيرته منها "الأعلام العلية" عمر بن علي بن موسى البزار أبو حفص، و"الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية" لمرعي الكرمي الحنبلي، و"العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية" للإمام ابن عبدالهادي، و"الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية"، إشراف وتقديم الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله.

اسْمُ الْقَصِيدَةِ وَبَحْرِهَا

هذه القصيدة تعرف بـ"التائية القدرية"، أو بـ"تائية ابن تيمية في القدر"، أو "المنظومة التائية".

وسميت تائية نسبة إلى رَوِيِّها، وهو التاء المكسورة.

أما بحرها فهو الطويل.

وقد سماها قائلها شيخ الإسلام بـ: "القصيدة"، وذلك في قوله في البيت الخامس والعشرين:

هـو المطلـب الأقـصى لـوراد بحـره ... وذا عـسـر في نظـم هـذي القـصيدةِ

وكذا سماها الشيخ حسين بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "القول الأسنى في نظم الأسماء الحسنى"، حيث قال: قصيدة تائية في حل المشكلة القدرية نظمها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.[1]

وسماها الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ بـ"المنظومة"، حيث قال في مقدمة شرحه لتلك القصيدة: أما بعد: فقد طلب مني بعض الإخوان أن أشرح المنظومة التائية في القدر لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) (ص١٥).

كما أنه رحمه الله عنون لذلك الشرح في صفحة الغلاف بقوله: "الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية".

وعلى كل حال؛ فإن المضمون واحد، سواء سميت قصيدة، أو منظومة؛ إلا أن لفظ القصيدة أعم من المنظومة؛ حيث إن القصيدة تطلق على الأبيات في المسائل العلمية وغيرها، في حين أن المنظومة تستعمل غالبًا في المسائل العلمية.

هذا وقد سُمِّيَت هذه القصيدة بأسماء أخرى جاءت على بعض أغلفة المخطوطات، ففي بعض النسخ جاء عنوانها: "مسألة القدر".

وفي بعضها "حكم مسألة القدر".

وفي بعضها "سؤال بعض أهل الذميين اليهود في القضاء والقدر".

وفي بعضها "سؤال في القدر".

وسيأتي بيان ذلك عند وصف النسخ.

نِسْبَةُ القَصِيدَةِ إِلَى شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ:

ليس هناك شكٌّ في صحة نسبة هذه القصيدة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأغلب من ترجم لشيخ الإسلام يذكر أن له منظومةً في القدر؛ جوابًا لسؤال حول القدر، وهذه بعض أقوال من ذكر ذلك.

١) قال الحافظ البزار رحمه الله: أخبرني الشيخ الصالح تاج الدين محمد المعروف بابن الدُّوري: أنه حضر مجلس الشيخ رحمه الله، وقد سأله يهودي عن مسألة في القدر، قد نظمها شعرًا في ثمانية أبيات.

فلما وقف عليها فكَّر لحظة يسيرة، وأنشأ يكتب جوابها، وجعل يكتب ونحن نظن أنه يكتب نثرًا، فلما فرغ، تأمله مَنْ حضر مِنْ أصحابه، وإذا هو نظم في بحر أبيات السؤال وقافيتها تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتًا.

وقد أبرز فيها من العلوم ما لو شُرح بشرحٍ؛ لجاء شرحه مجلدين كبيرين، هذا من جملة بواهره، وكم من جواب فتوى لم يسبق إلى مثله.[(١)]

٢) وقال الصفدي[(٢)] رَحِمَهُ اللهُ: وله أجوبة سؤالات كان يُسألها نظمًا، فيجيب عنها نظمًا أيضًا.[(٣)]

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وله قصائد مطولة أجوبة عن مسائل كان يُسأل عنها نظمًا مثل مسألة اليهودي.[(٤)]

---

(١) «الأعلام العلية» (ص٢٨-٢٩).

(٢) هو أبو الوفاء صلاح الدين بن أيبك بن عبدالله الصفدي الشافعي، المؤرخ الأديب اللغوي، من مصنفاته: «الوافي بالوفيات»، و«غيث الأدب شرح لامية العرب» للطغرائي، توفي (سنة٧٦٤هـ)، انظر «شذرات الذهب» (٦/ ٢٠٠)، و«معجم الأدباء» (٤/ ١٤).

(٣) «الوافي بالوفيات» (٧/ ٣٠)، وانظر «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون»، جمعه ووضع فهارسه الشيخ محمد عزير شمس، والشيخ علي بن محمد العمران، إشراف وتقديم الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد مكة، (ط/ ٢، ١٤٢٢هـ)، (ص٣٢٠).

(٤) «أعيان العصر وأعوان النصر»، لصلاح بن الدين بن خليل الصفدي، تحقيق د/ علي أبو زيد وزملائه (ط١، ١٤١٨هـ)، دار الفكر دمشق، (١/ ٢٤٦)، وانظر «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (ص٢٩).

ويعني بها هذه القصيدة.

٣) وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية: وكان من أذكياء العالم، وله في ذلك أمور عظيمة، منها أن محمد ابن بكر السكاكيني عمل أبياتًا على لسان ذميٍّ في إنكار القدر وأولها...، فذكر البيتين.

ثم قال: فوقف عليها ابن تيمية، فثنى إحدى رجليه على الأخرى، وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة عشر بيتًا، أولها:

سؤالك يا هذا سؤال معاند ... يخاصم رب العرش باري البرية[1]

---

(١) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة (ب ت) (١/ ١٦٦)، وانظر: «البدر الطالع» للشوكاني (١/ ١٧).

اسْمُ السَّائِلِ وَعَدَدُ أَبْيَاتِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ

أما السائل فقد اختلف فيه على أقوال:

القول الأول، أن السائل هو السكاكيني الشيعي.[1]

وهذا هو الذي جزم به الحافظ ابن كثير، وتابعه عليه الحافظ ابن حجر، والسخاوي، والشوكاني رحمهم الله جميعًا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: كان الشيخ محمد السكاكيني يعرف مذهب الرافضة والشيعة جيدًا، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الجبر، ونظم في ذلك قصيدة، أجابه فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.اهـ[2]

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة السكاكيني: وَنَسبَ إليه عماد الدين بن كثير الأبيات التي أولها: (يا معشر الإسلام ذمي دينكم . . . . .)[3]

---

(١) السكاكيني: هو محمد بن أبي بكر بن أبي القسم الهمذاني، ثم الدمشقي، الشيعي، المعروف بالسكاكيني؛ لأنه كان يحترف صناعة السكاكين عند شيخ رافضي؛ فأفسد عقيدته. ولد بدمشق سنة (٦٣٥هـ)، وتوفي سنة (٧٢١).

انظر: "ذيل تاريخ الإسلام"، للذهبي، اعتنى به مازن بن سالم باوزير، (ط١/ ١٤١٩هـ) (١٩٩٨م)، دار المغني الرياض (ص٢٣٧)، و"الدرر الكامنة" لابن حجر (٥/ ١٤٩).

(٢) "البداية والنهاية" (١٤/ ٢١١).

(٣) "الدرر الكامنة" (٤/ ٣١)، وانظر "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" للسخاوي (ط١/ ١٩٩٣م) دار الكتب العلمية بيروت (٣/ ٥٤٥).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: وحكي عنه -أي: شيخ الإسلام- أنه لما وصل إليه السؤال الذي وضعه السكاكيني على لسان يهودي...، فذكر البيتين من مطلع أبيات السؤال[1].

القول الثاني: أنَّ الناظم لأبيات السؤال هو ابن البقعي.[2]

وهذا القول ذكره السبكي في «طبقاته»[3]، حيث قال: ويقال: إنَّ الناظم هو ابن البقعي، الذي ثبتت عليه أقوال تدل على الزندقة، وقُتِل بسيف الشرع الشريف في ولاية الشيخ تقي الدين دقيق العيد القشيري.

القول الثالث: أنَّ السائل هو بعض المعتزلة، وكتم اسمه، وجعله على لسان بعض أهل الذمة، أو على لسان بعض اليهود.

---

(١) «البدر الطالع» (١/ ٧١).

(٢) هو فتح الدين أحمد بن محمد البقعي المصري، وُلِدَ سنة (٦٦٠) تقريبًا، وتفقه كثيرًا، واشتغل، وتأدب، وناظر حتى مهر في كل فن، وقطع الخصوم في المناظرة، وفاق الأقران في المحاضرة، وبدت منه أمور تنبئ أنه مستهزئٌ بأمور الديانة، فادُّعِيَ عليه عند القاضي المالكي زين الدين ابن مخلوف بما يقتضي الانحلال، واستحلال المحرمات، والاستهزاء بالدين، فحكم المالكي بقتله، فضربت رقبته بمصر على الزندقة، وذلك في شهر ربيع الأول سنة (٧٠١).

قال عنه الذهبي رحمه الله: كان عالمًا، مفننًا، مناظرًا، وكان من الأذكياء ممن لم ينفعه علمه، كان يشطح ويتفوه بعظائم، وينعق بمسعدة النبوة، ويتجاهر بتحليل المحرمات.اهـ

انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٨/ ٦-٧)، و«الدرر الكامنة» (١/ ٣٦٥-٣٦٦)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٢)، وفيه: (ابن الثقفي)، وهو تصحيف.

(٣) (١٠/ ٣٥٣).

وهذا القول جزم به السبكي في «طبقاته»[1]،حيث قال: ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة، وكتم اسمه، وجعله على لسان بعض أهل الذمة.اهـ

ولعل هذا القول هو الذي يعنيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: وكما رأينا كثيرًا منهم -أي: المعتزلة- يضع كتابًا، أو قصيدةً على لسان بعض اليهود، أو غيرهم، ومقصودهم بذلك الردُّ على المثبتين للقدر.[2]

القول الرابع: أنَّ السائل رجلٌ يهودي، أو من أهل الذمة.

وهذا القول ذكره الحافظ البزار فيما أخبره به ابن الدوري، وقال به الصفدي، كما تقدم.

وذكر السبكي في «الطبقات الوسطى»[3] أنه بعض يهود الشام.

وجاء عنوان القصيدة في «مجموع الفتاوى لابن تيمية»: سؤال عن القدر أورده أحد علماء الذميين.[1]

وقال الطوفي رحمه الله في مقدمة «شرحه للقصيدة التائية»: ...عن مسألة سأله

---

(١) (١٠/ ٣٥٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ١١٥).

(١) انظر «حاشية طبقات الشافعية الكبرى» (١/ ٣٥٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٤٥).

عنها بعض أهل الذمة.[١]

هذا هو مجمل ما قيل في شأن صاحب السؤال.

والناظر في تلك الأقوال يكاد يرجعها إلى القولين الأولين؛ حيث إن الخلاف واقع في السائل: أهو السكاكيني، أم ابن البقي؛ وذلك لما يلي:

١) أنَّ عددًا من الحفاظ كابن كثير، وابن حجر، والسخاوي، والشوكاني صرحوا بأنه السكاكيني، والذين لم يصرحوا كالسبكي وغيره قالوا: إنه بعض المعتزلة، وكتم اسمه، أو هو شاعر رافضي، وجعله على لسان أهل الذمة، أو اليهود.

٢) أن الذين ترجموا للسكاكيني ذكروا أنه كان شيعيًّا فيه اعتزال، وأنه كان يناظر على القدر، وينكر الجبر.

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهو ممن يتسنَّن به الشيعي، ويتشيع به السني.[٢]

وقال عنه الذهبي رحمه الله: كان حلو المجالسة، ذكيًّا عالمًا، فيه اعتزال، وينطوي على دين، وإسلام، وتعبد، سمعنا منه، وكان صديقًا لأبي، وكان ينكر الجبر، ويناظر على القدر. اهـ[٣]

---

(١) شرح جواب ابن تيمية (مخطوط) (ص٢).

(٢) انظر الدرر الكامنة (٤/ ٣٠).

(٣) «ذيل تاريخ الإسلام» (ص٢٣٧)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ٣٠).

وأما ما ذكر من أن السائل يهودي، وأنه من أهل الشام؛ فهذا لا ينافي كون السؤال وضع على لسان اليهود، أو أهل الذمة؛ لأن اليهود هم أهل الذمة في ذلك الوقت.

ولما كان السؤال قد وضع على لسان أهل الذمة من اليهود، وظهر بين الناس، واشتهر في البلاد؛ صار الكلام كأنه لهم؛ فلذلك نسبه بعض العلماء إلى بعض اليهود، فيطلق عليه: مسألة اليهودي.

ولعل الأقرب ما ذهب إليه ابن كثير، وابن حجر، والسخاوي، والشوكاني وهو أن السائل هو السكاكيني الشيعي المعتزلي.

وأما ما يقال من أن الناظم هو ابن البققي فضعيف؛ لأن الذي ذكر هذا القول -وهو السبكي- قاله بصيغة التمريض، مما يدل على أنه لا يجزم به.

ومع هذا؛ فإنه لا يستبعد أن يصدر من ابن البققي وأمثاله ممن ثبت عليهم أمور تدل على الزندقة، والانحلال، واستحلال المحرمات، والاستهزاء بالدين مثل هذا السؤال.[1]

---

(١) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ٣٥٣)، و«الدرر الكامنة» (١/ ٣٢٩)، و«المنظومة التائية» (ص٣٤٢-٣٤٣).

عَدَدُ أَبْيَاتِ السُّؤَالِ وَعَدَدُ أَبْيَاتِ الْجَوَابِ

أما عدد أبيات السؤال فقد اتفقت جميع النسخ التي وقفتُ عليها على أنها ثمانية أبيات.

وأما جواب شيخ الإسلام ابن تيمية فقد اختلف في عدد أبياته على أقوال؛ حيث ذكر البزار أنها تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتًا.[١]

وقال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ: بل هي مائة وخمسة أبيات.[٢]

وذكر الحافظ ابن حجر أن عدد أبياتها مائة وتسعة عشر بيتًا.[٣]

وأما النسخ الخطية والمطبوعة فمختلفة في عددها، على ما سيأتي تفصيله عند الحديث عنها.

والذي تبين بعد مقابلة النسخ أن عدد الأبيات مائة وخمسة وعشرون بيتًا.

---

(١) «الأعلام العلية» (ص٢٩).

(٢) «العقود الدرية»، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (ط٢/ ١٤٢٣هـ) (٢٠٠٣م) (ص٣٠٦).

(٣) «الدرر الكامنة» (١/ ١٦٦).

شُرُوحُ الْقَصِيدَةِ التَّائِيَّةِ

لا أعلم أحدًا تعرض لشرح تلك القصيدة إلا اثنين:

أحدهما: العلامة سليمان بن عبدالقوي الحنبلي،[1] المعروف بالطوفي رحمه الله، وشرحه مخطوط لم يَخْرُجْ إلى الآن.

واسم هذا الشرح كما هو موجود على غلاف المخطوط "شرح جواب ابن تيمية".

الثاني: للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة (١٣٧٦هـ) رحمه الله.

وشرحه مطبوع متداول في رسالة سماها: "الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية".

وهذه الرسالة موجودة ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي التي نشرها مركز صالح بن صالح الثقافي في عنيزة عام (١٤١١هـ)، وذلك ضمن المجلد الثالث الخاص بالعقيدة من (ص١٤٤-١٨٨)، كما أنها طبعت مفردة قبل ذلك، وبعده عدة مرات.

---

(١) انظر ترجمته في "ذيل طبقات الحنابلة" (٢/ ٣٦٧)، و"الدر الكامنة" (٢/ ٢٤٩).

ذِكْرُ مَنْ رَدَّ عَلَى السَّائِلِ غَيْرِ شَيْخِ الإِسْلَام

قال السبكي رحمه الله في «طبقاته» (١٠/ ٣٥٣): وكان مقصد هذا السائل الطعن على الشريعة، فانتدب أكبر علماء مصر والشام لجوابه نظمًا، منهم الشيخ علاء الدين الباجي[1] رحمه الله في قصيدته التي يقول فيها:

أيا عالمًا أبدى دلائل حَيْرَةٍ ... يروم اهتداءًا من أُهيل فضيلة

لقد سرني أن كنت للحق طالبًا ... عسى نفحةٌ للحق من سُحْبِ رحمة

فبالحق نيلُ الحق فالجأ لِبَابِه ... كأهل النهى واترك حبائل حيلةِ

إلى أن قال:

فكن راضيًا نَفْسَ القضاء ولا تكن ... بمقضيِّ كُفرٍ راضيًا ذا خطيئةِ

وتكليفنا بالأمر والنهي قاطع ... لأعذارنا في يوم بعث البريةِ

إلى آخر ما قال في تلك القصيدة التي تبلغ خمسة عشر بيتًا.

ومنهم الأديب ناصر الدين شافع بن عبدالظاهر[2] في قصيدته التي يقول

---

(١) هو الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالرحمن بن خطاب الباجي المصري الشافعي، ولد سنة (٦٣١هـ).

انظر «طبقات الشافعية الكبرى»، للسبكي، (ط١/ ١٣٨٣هـ) (١٩٦٤م)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (١٠/ ٣٤٠)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ١٠١).

(٢) هو الإمام الأديب شافع بن علي بن إسماعيل بن عساكر الكناني العسقلاني، ثم المصري، ولد (سنة ٦٤٩هـ)، وتوفي سنة (٧٣٠هـ).

فيها:

سـألت ولم تعـرف وكـم مـن مباحـث ... جـرت مـن أهيـل العلـم في ذي الحقيقـةِ
ومـا أنـت يـا ذمـيٌّ مبتكـرٌ كـما ... توهَّمْتـه مـن دون مـاضي البريـة
نعـم كـلُّ شيءٍ كـائنٌ بقـضائه ... وتقـديره حـتمًا بأوضـح حجـة
وهـل واقـع مـا لا يـشاء بملكـه ... لقـد ضـل مـن ذا رأيـه في القـضية
وإن الرضـا غـير القـضاء فـلا تكـن ... تنـازع فـيما شـاءه مـن مـشيئة
لـه المحـو والإثبـات جـل جلالـه ... فـلا تعـترض في حكمـه وتثبَّـتِ
وكـن بجـوابي مُـسلماً ومـسلِّماً ... وكـن باتبـاع الحـق مـن خـير أمـة

ومنهم الشيخ شمس الدين بن اللبان[1] رَحِمَهُ اللَّهُ في قصيدته التي يقول فيها:

ألا بعـدَ حمـدِ اللهِ بـاري البريـة ... عـلى مـا هـدانا مـن كتـاب وسـنة
بأفـضل مبعـوث إلى خـير أمـة ... عليـه مـن الـرحمن أزكـى تحيـة
فـإن صـحيحاً كـون مـا شـاء ربنـا ... ونفـي سـوى مـا شـاءه مـن مـشيئة
ولم يـرض كفـر العبـد أي لا يحبـه ... لـه لا ولا يثنـي عليـه بمدحـة
وحيلـة مـن لم يهـده الله أنـه ... يلاحـظ وجـهَ العجـز في كـل لحظـة

انظر: «أعيان العصر» (٢/ ٥٠١-٥٠٢)، و«الدرر الكامنة» (٢/ ٢٨١).

(١) هو الإمام العلامة محمد بن أحمد بن عبدالمؤمن الدمشقي، الشافعي، نزيل القاهرة ولد سنة (٦٨٥ هـ) تقريبًا، وتوفي سنة (٧٤٩هـ).

انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/ ٩٤)، و«الدرر الكامنة» (٥/ ٦٠-٦١).

وينفي القذى عن عين فكرته ولا ... يميل بأسباب الحجى عن محجة
ويجهد عل الجهد في قصد ربه ... بصدق وعزم وابتهال وحرقة
وحينئذٍ يرجى له فتحُ كلِّ ما ... غدا مُرْتَجَا من باب فضل ورحمة
فإن قضاء الله يطلق تارة ... بكفر وإيمان فيخفى لحكمة
وآونةً يجرى تَعَلُّقه بنا ... على سبب نعتاده كالشريطة
كَسُمٍّ لموت أو دواء لصحة ... وطوع وعصيانٍ لسَعْد وشقوة
وقد جعل الله الحكيم لعبد اخـ ... ـتياراً لأسباب الرضا والقطيعة
ويسَّره من بعد هذا لما قضى ... عليه ليمضي فيه حكم المشيئة

إلى آخر ما قاله في قصيدته التي تبلغ ثمانيةً وعشرين بيتًا.

ومنهم الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد الطوسي[1] رحمه الله في قصيدته التي يقول فيها:

ألا أصْغ يا ذميٌّ إن كنت سامعًا ... جوابَ سؤالٍ رُمْتَه بالأدلة
ودبّر بعقل مدرك سر ما بدا ... بإنشاء رب الكون في كل حالة

إلى آخر ما قاله في قصيدته التي تبلغ مائة وخمسة أبيات.

---

(١) كذا ذكره السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ٣٥٩)، وواضح من اسمه أنه من أهل طوس، وقد أشار هو إلى ذلك بقوله في قصيدته في الرد على الذمي:

ومنهم الشيخ علاء الدين القونوي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ في قصيدته التي يقول فيها:

حمدت إلهي قبل كل مقالة ... وصليت تعظيماً لخير البرية

وحاولت إبداء النصيحة منصفاً ... لمن طلب الإيضاح في حل شبهة

فأول ما يلقى إلى كل طالب ... لتحقيق حق واتباع حقيقة

يروع الذي من كل عقد وشبهة ... يصد عن الإمعان في نظم حجة

وإلقاء سمع واجتناب تعنُّتٍ ... فلا خير في المستمحن المتعنت

إذا صح منك الجِدُّ في كشف غمة ... بليت بها فاسمع هديت لِرَشدة

إلى أن قال:

فمن جملة الأسباب فيما رفضته ... مع الأمر والإمكان لفظ شهادة

فأنت كمن لا يأكلُ الدهرَ قائلاً ... أموت بجوع إذ قضي لي بجوعة

---

(١) هو علاء الدين علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي، ولد بقونية من بلاد الروم سنة (٦٦٨هـ).

وَلِيَ قضاءَ الشام، وأقام بالقاهرة قريبًا من ثلاثين سنة يلقي دروسًا، وتوفي سنة (٧٢٩هـ).

انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ١٣٢-١٣٤)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ٢٩-٣٣).

إلى أن قال:

ولـــو كنـــت أدري أن ذهنـــك قابـــل ... لفهـــم كـــلام ذي غمـــوض ودقـــة
لأشـــبعت فيـــه القـــول بـــسطاً محققـــاً ... عـــلى نَمَطَـــيْ عِلْمَـــيْ كـــلام وحكمـــة

إلى آخر ما قاله في قصيدته التي تبلغ خمسة وعشرين بيتًا.[1]

ومنهم الشيخ ابن لب الأندلسي[2] رحمه الله، وهذا جوابه:

قـــضى الـــرب كفـــر الكـــافرين ولم يكـــن ... ليرضـــاه تكليفًـــا لـــدى كـــل ملـــة
نهـــى خلقـــه عـــما أراد وقوعـــه ... وإنفـــاذه والملـــك أبلـــغ حجـــة
فنـــرضى قـــضاء الـــرب حُكـــمًا وإنـــما ... كراهتنـــا مـــصروفةٌ للخطيئـــةِ
فـــلا تَـــرْضَ فِعْـــلاً قـــد نهـــى عنـــه شرعُـــه ... وســـلِّم لتـــدبير وحكـــم مـــشيئةِ
دعـــا الكـــلَّ تكليفـــاً ووفَّـــق بعـــضهم ... فخـــصَّ بتوفيـــق وعـــمَّ بـــدعوةِ
فتعـــصي إذا لم تنـــتهج طُـــرْقَ شرعـــه ... وإن كنـــت تمـــشي في طريـــق المـــشيئة
إليـــك اختيـــارُ الكـــسب والله خـــالق ... مريـــدٌ بتـــدبير لـــه في الخليقـــة
ومـــا لم يـــرده الله لـــيس بكـــائن ... تعـــالى وجـــل الله ربُّ البريـــةِ

---

(١) هذه الأجوبة للعلماء المذكورين أوردها السبكي في «طبقاته الكبرى» (١٠/ ٣٥٣-٣٦٦).

(٢) هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الثعلبي الغرناطي الأندلسي المالكي، كان من أكابر علماء المالكية، توفي سنة (٧٨٣هـ).

انظر: «شذرات الذهب» (٣/ ٢٨٠)، و«نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» لأحمد محمد المقري التلمساني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي لبنان، (٨/ ٥٤).

فهــذا جــواب عــن مــسائل ســائل جهــول ينــادي وهــو أعمــى بــصيرة

أيــا علــماء الــدين ذمــيٌّ ديــنكم تحــير دُلُّــوه بأوضــح حجــة"[1]

---

(١) "الإفادات والإنشادات" لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، (ص١٧٢-١٧٣).

وَصْفُ النُّسَخ

قال محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد: تم تحقيق هذه القصيدة، ومقابلة نصها من عشر نسخ: سبع منها مخطوطة، وثلاث مطبوعة.

النسخ المخطوطة:

النسخة الأولى:

نسخة الطوفي رحمه الله التي اعتمد عليها في شرحه هذه القصيدةَ، وهذه النسخة مصورة من المخطوطة الموجودة في جامعة برنستون في أمريكا، رقم (٢٥٠٦)، وعدد أبياتها المشروحة (١٠٤) أبيات.

وهذه النسخة قرئت على شيخ الإسلام رحمه الله كما ذكر الطوفي أثناء شرحه لمعنى كلمة (خيبة) الواقعة في البيت ذي الرقم (٩٥) من شرح الطوفي حيث قال: (خيبة): رأيناها في الأصل الذي نقلناها منه، وقد قُرِىء على الشيخ -أي: شيخ الإسلام- بحاء مهملة مكسورة، ثم ياء مثناة من أسفل، ثم باء موحدة، وهي مأخوذة من الحوب وهو الإثم.اهـ

وهذه النسخة جيدة، وخطها واضح جميل، وتقع في (٧٨) لوحة، وقد كتبت -كما هو مبين في آخرها-: نهار الثلاثاء خامس عشر شهر رمضان المبارك سنة (١١٣٧).

---

(١) اعتمدنا في هذه التائية ومطابقتها نسخة محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد.

واسم هذا الشرح -كما هو موضح في الصفحة الأولى من المخطوط-: "شرح جواب ابن تيمية".

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ط)؛ رمزًا للطوفي.

النسخة الثانية:

وهي النسخة المصورة من المخطوطة الموجودة بدار الكتب القومية بمصر، ضمن عقائد تيمور برقم (٣٧٤).

وهي نسخة جيدة، كتبت بخط النسخ، وتقع في (١٠) صفحات، وفي كل صفحة (١٦) سطرًا إلى (١٧) سطرًا، وعدد أبياتها (١٢٣) بيتًا، مع بيت مكرر، وهو البيت الثاني والعشرين من المخطوطة، حيث تكرر مرة أخرى بعد البيت الثالث والعشرين، والبيت هو:

وكـــل كفـــورٍ مـــشرك بإلهـــه وآخـــرَ طـــاغٍ كـــافرٍ بنبـــوةِ

وهذه النسخة قليلة الأخطاء والسقط، بحيث لم يسقط منها إلا ثلاثة أبيات، وهذه النسخة مجهولة التاريخ، واسمِ الناسخ، وقد كتب في عنوانها: "مسألة القدري لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية"، وَكُتب في نهايتها: تمت والحمد لله رب العالمين.

وإليها رمزت بـ: (أ).

النسخة الثالثة:

النسخة المصورة من المخطوطة الموجودة بدار الكتب القومية بمصر ضمن عقائد تيمور برقم (٢٨٤).

وتحتوي هذه النسخة على ثلاث رسائل:

الأولى: حكم مسألة القدر، وهي القصيدة التائية.

والثانية: قصيدة بائية في مدح شيخ الإسلام ابن تيمية، لنجم الدين إسحاق بن أبي بكر التركي.

والثالثة: كتاب الإمام النووي الذي كتبه للظاهر بيبرس ينهاه فيه عن بعض المظالم.

وقد كتبت كلها بخط النسخ، وتقع في (٥) لوحات = (١٠) صفحات، وفي كل صفحة (١٤) سطرًا؛ إلا الصفحة الأخيرة ففيها (١٧) سطرًا، وعدد أبياتها (١٠٢).

وَكُتِب في غلافها: "حكم مسألة القدري للشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية" نفع الله به.

ولا يعرف تاريخ نسخها، وأما ناسخها فهو محمد بن سليمان بن داود.

وقد رمزت لهذه النسخة بـ: (ب).

النسخة الرابعة والخامسة:

وهما النسختان المصورتان من مكتبة برلين مكروفيلم رقم

(٢٤٨١و٢٤٨٢).

والنسخة رقم (٢٤٨٢) موجودة ضمن كتاب لم يذكر عليه مؤلفه، وهي مجهولة التاريخ والناسخ، وهي نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الجميل الواضح، وتقع في خمس صفحات، وفي كل صفحة خمسة وعشرون سطرًا، وعدد أبياتها مائة وبيتان.

والأبيات ذكرها صاحب الكتاب في معرض جواب له عن شبهه، وهي الرضى بالقضاء والقدر، وبعد ساق كلامًا قال: وقد سأل بعض أهل الذمة سؤالًا نظمًا، فأحببت أن أورد السؤال والجواب.

ثم ذكر أبيات الذمي، ثم قال: فأجاب عن ذلك نظمًا مرتجلًا شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد الشهير بابن تيمية رحمه الله.

ثم ذكر أبيات الشيخ.

وأما النسخة رقم (٢٤٨١) فكتبت أيضًا بخط النسخ الواضح الجميل كسابقتها، وهي تقع في (٣) لوحات = (٦) صفحات، وفي كل صفحة (١٩) سطرًا، وعدد أبياتها (١٠٢).

وكلا النسختين مجهولتا التاريخ، واسم الناسخ.

والذي يبدو أن هذه النسخة منقولة عن النسخة السابقة، وأن ناسخها واحد؛ لأنهما لا يختلفان في الخط، والشكل، والعدد، والترتيب.

ولعل الناسخ بعد انتهائه من نسخ الكتاب المتقدم أراد أن يفرد المنظومة في

صحيفة مستقلة، فنسخها مرة أخرى، وكتب في بدايتها: هذا سؤال من بعض أهل الذمة من اليهود في القضاء والقدر، وهو قوله: ...، فذكر أبيات الذمي.

ثم قال، فأجاب عن ذلك ارتجالًا شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: ...، ثم ذكر أبيات الشيخ.

وكتب في آخرها: تمت المنظومة التائية الشريفة بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه، والحمد لله.

وعلى هذا؛ فالنسختان نسخة واحدة.

وقد رمزت للنسخة رقم (٢٤٨١) بـ: (ج)، ورمزت للنسخة رقم (٢٤٨٢) بـ: (د).

النسخة السادسة:

النسخة المصورة من قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض برقم (١٣/ ١٦١٣٨) ضمن مجموع يتضمن (٢٥) رسالة، أولها منظومة لابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

وتقع هذه النسخة في (٣) لوحات = (٦) صفحات، وهي في الصفحة (٢٦٧ إلى ٢٧٢) من صفحات ذلك "المجموع".

وفي كل صفحة (٢٢) سطرًا، وعدد أبياتها (١٠١).

وهي نسخة جيدة، كُتبت بخط النسخ المعتاد، ويوجد في بعض الهوامش بعض التقييدات، وكتبها عبدالله بن إبراهيم الربيعي سنة (١٣٤٥هـ)، وكتب

في بدايتها بعد البسملة: مسألة في القدر، سؤال أورده أحد علماء الذميين، والجواب عليه للإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله.

سأل أحد علماء الذميين عن مسألة القدر قائلًا: ...، فذكر الأبيات.

ثم قال، فأجاب الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني رحمه الله مرتجلًا...، ثم ذكر الأبيات.

وقد رمزت لهذه النسخة بـ: [هـ].

وقد أمدني بالنسخ السابقة ووصفها الشيخ محمد نور حفظه الله وجزاه خير الجزاء.

النسخة السابعة:

نسخة أمدني بها فضيلة الشيخ علي الشبل حفظه الله، وهي من صفحتين فقط، وقد اخْتُصِرت كثيرًا؛ إذ عدد أبياتها (٤٤) بيتًا.

وهي نسخة جيدة، وقد كُتبت بخط واضح، وقد كتبها عبدالعزيز بن عثمان بن حمد آل مضيان عام (١٣٣٩ هـ).

ولم يُورَدْ في هذه النسخة نص السؤال.

وإنما بدأت بقوله: جواب الشيخ تقي الدين شيخ الإسلام والمسلمين أحمد بن تيمية أسكنه الله في الغرف العلية، لسؤال أورده بعض المعتزلة، ويقال: إنه ابن الثقفي.

وجاء في آخرها: آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف

المرسلين، وآله وصحبه.

على يد الفقير المعترف بالخطإ والتقصير، عبده وابن عبده، وابن أمته عبدالعزيز بن عثمان بن حمد آل مضيان، ولله الحمد والمنة. حرر سنة (١٣٣٩هـ).

وقد رمزت لهذه النسخة بـ: [و].

النُّسَخُ الْمَطْبُوعَةُ:

أما النسخ المطبوعة التي اطلعت عليها فثلاث، وهي الموجودة في كتاب "العقود الدرية" لابن عبدالهادي، والموجودة بشرح الشيخ عبدالرحمن السعدي "الدرة البهية"، والموجودة ضمن "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، وابنه محمد رحمهما الله.

وفيما يلي وصف هذه النسخ.

الأولى: نسخة العقود الدرية.

جاءت القصيدة التائية في كتاب "العقود الدرية" للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي (٧٠٥-٧٤٤هـ)، دراسة وتحقيق أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني.

وقد جاءت القصيدة في سبع صفحات من ص(٣٠٠-٣٠٦).

قال ابن عبدالهادي في مقدمتها: صورة فتيا قدمت في مجلس الشيخ تقي

الدين رَحِمَهُ اللَّهُ، فأجاب في المجلس بهذا الجواب، وهو تقدير القدر.[١]

ثم أورد السؤال والجواب.

وقال في آخرها: تمت بحمد الله وعونه، وهي مائة وأربعة وثمانون بيتًا، بل هي مائة وخمسة أبيات.[٢]

والحقيقة أن الأبيات التي أوردها ابن عبدالهادي رَحِمَهُ اللَّهُ ليست مائة وخمسة أبيات، بل هي مائة وثلاثة أبيات؛ ذلك أن فيها تكرارًا لبيتين؛ حيث تكرر البيت الثامن مع البيت الرابع والعشرين؛ إلا في كلمة واحدة.

ونص البيت الثامن:

وإن مبـــادي الـــشر في كـــل أمـــة ذوي ملـــــة قدســـــية نبويـــــة

ونص البيت الرابع والعشرين:

وإن مبـــادي الـــشر مـــن كـــل أمـــة ذوي ملـــــة ميمونـــــة نبويـــــة

وكذلك تكرر البيت التاسع مع البيت الخامس والعشرين ونصه:

بخوضـــهمُ في ذاكـــمُ صـــار شركهـــم وجـــاء دروس البينـــات بفـــترة

وعلى هذا يكون عدد الأبيات مائة وثلاثة أبيات.

---

(١) "العقود الدرية" (ص٣٠٠).

(٢) "العقود الدرية" (ص٣٠٦).

وبذلك يكون قد حُذِف من محصِّل مجموع الأبيات اثنان وعشرون بيتًا.

وهذه النسخة فيها بعض الأغلاط، وقد نبهت عليها في مواطنها، ورمزت لهذه النسخة بـ: [عقود].

النسخة الثانية:

"الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية"، للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

وقد سبق الحديث عنها عند الحديث عن شروح القصيدة، وقد جاء عدد أبيات القصيدة في هذا الشرح في مائة وثلاثة وعشرين بيتًا، وقد رمزت لها بـ: [الدرة]، وسيأتي الكلام عليها بعد قليل.

النسخة الثالثة:

وهي التي وردت ضمن المجلد الثامن من "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ" جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، وابنه محمد رحمهما الله، وذلك من ص(٢٤٥-٢٥٥).

وقد جاء في مقدمتها: سؤال عن القدر أورده أحد علماء الذميين، فقال: ...، ثم ذكر أبيات السؤال، وأتبعها بجواب شيخ الإسلام.

وعدد الأبيات التي وردت في "مجموع الفتاوى" مائة وأربعة وعشرون بيتًا، وهي أتم النسخ من حيث عدد الأبيات، وقد رمزت لها بـ: [مجموع الفتاوى]، وسيأتي الكلام عليها في الفقرة التالية.

النُّسَخُ المُعْتَمَدَة فِي هَذَا الشَّرْح

أما النسخ المعتمدة في هذا الشرح فهما نسخة «مجموع الفتاوى»، ونسخة «الدرة البهية»، مع مقابلة باقي النسخ على هاتين النسختين وبيان الفروق بينها.

والسبب في اختيار هاتين النسختين يعود إلى ما يلي:

١) أنهما أتم النسخ؛ فالأبيات في «مجموع الفتاوى» مائة وأربعة وعشرون، وفي «الدرة البهية» مائة وثلاثة وعشرون.

٢) أنهما مقاربتان لنسخة الطوفي، وابن عبدالهادي في «العقود الدرية»، وهما ممن عاصر شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣) أن ترتيب الأبيات فيهما، ومناسبة كل بيت لما قبله متقارب إلى حد كبير، وما بينهما من الفروق سيأتي بيانه، بخلاف باقي النسخ؛ فإن الترتيب ليس كترتيب «مجموع الفتاوى»، و«الدرة البهية».

٤) أن بعض النسخ فيها حذف، وبعضها فيه اختصار، وبعضها فيه تكرار، أما النسختان المذكورتان فهما أتم من هذه الناحية.

وعلى هذا فإن شرح هذه القصيدة سيكون على ترتيب تلك النسختين، وعلى وجه الخصوص نسخة «مجموع الفتاوى».

وأما الفروق بينهما فستبين في المطلب الآتي.

كما أن التصحيح سيكون من باقي النسخ الأخرى مع ترجيح الأنسب، والإشارة إلى الفروق في هوامش الصفحات.

ملحوظات وتنبيهات

حول نسختي "مجموع الفتاوى" و"الدرة البهية"

مما يحسن التنبيهُ عليه قبل الشروع في شرح هذه القصيدة إيضاحُ بعض الفروق الموجودة في متن القصيدة، وذلك في نسخة "مجموع الفتاوى"، أو في نسخة الشيخ عبدالرحمن السعدي المسماة بـ: "الدرة البهية"، ومن تلك الفروق ما يلي:

١) هناك فروق في عدد الأبيات؛ فعددُها في "مجموع الفتاوى" مائة وأربعة وعشرون بيتًا، بينما هي في شرح الشيخ السعدي مائةٌ وثلاثة وعشرون بيتًا.

والسبب في ذلك: سقوط بعض الأبيات في إحدى النسختين؛ فقد يوجد بعض الأبيات في نسخة، ولا يوجد في الأخرى، وهذا قليل؛ حيث لم يوجد ذلك إلا في الأبيات التالية:

أ) في البيت السابع من "مجموع الفتاوى"، ونصه:

فإنهموا لم يفهموا حكمةً له ... فصاروا على نوعٍ من الجاهلية

وهو غير موجود في "الدرة البهية".

ب) في البيت الأول بعد المائة من "مجموع الفتاوى" جاء نصه:

فأما الأفاعيل التي كُرهت لنا ... فلا تُرتضى مسخوطة لمشيئةِ

بينما هو في «الدرة البهية»:

فأما الأفاعيل التي كُرهت لنا ... فلا نص يأتي في رضاها بطاعةِ

وهذا أنسب مما قبله.

ثم إنه ورد في البيت الثاني بعد المائة في «الدرة البهية» ما نصه:

فإن إله الخلق لم يرضَها لنا ... فلا نرتضي مسخوطةً لمشيئةِ

والشطر الأول من هذا البيت غير موجود في «مجموع الفتاوى»، أما الشطر الثاني فهو موجود في البيت الأول بعد المائة كما مر مع اختلاف يسير، وهو أنه جاء في «مجموع الفتاوى» بنص: فلا تُرتضى.

وفي «الدرة البهية» بنص: فلا نرتضي.

ومن هنا تحصَّل لنا بيتٌ زائد في «الدرة البهية»؛ حيث تكَّون من شطرين غير موجودين في «مجموع الفتاوى».

ومن هنا صار عدد أبيات القصيدة مائة وخمسة وعشرين بيتًا.

ج) البيت الأخير من «مجموع الفتاوى»، وهو قوله:

وصلى إلهُ الخلقِ جل جلاله ... على المصطفى المختار خير البريةِ

هو غير موجود في «الدرة البهية».

٢) هناك فروق في ترتيب بعض الأبيات، ومن ذلك ما جاء في البيت الحادي والثمانين، والثاني والثمانين من «مجموع الفتاوى»، وهما قوله:

وقـــولُ حليـــفِ الـــشرِّ: إني مقـــدر ... عـــليَّ كقـــول الـــذئب: هـــذي طبيعتـــي

وتقـــديره للفعـــل يجلـــب نقمـــة ... كتقـــديره الأشـــياء طُـــرًّا بعلـــةِ

وفي "الدرة البهية" تقديم للأخير على الأول.

وفي البيت السابع والثمانين، والثامن والثمانين، والتاسع والثمانين من "مجموع الفتاوى" يقول:

وذلِّـلْ قيـادَ الـنفسِ للحـق واسـمعن ... ولا تُعْرِضَـــنْ عـــن فكـــرة مـــستقيمةِ

ومـــا بـــان مـــن حـــقٌّ فـــلا تتركنـــه ... ولا تعـــصِ مـــن يـــدعو لأقـــوم شرعـــةِ

ودع ديـــن ذي العـــادات لا تتبعنَّـــه ... وعـــج عـــن ســـبيل الأمـــة الغـــضبيةِ

وفي "الدرة البهية" تقديم وتأخير؛ حيث قدم الثامن والثمانين على التاسع والثمانين.

كذلك تغير ترتيب الأشطر، حيث جاء في "الدرة البهية":

وذلِّـلْ قيـاد الـنفس للحـق واسـمعن ... ولا تعـص مـن يـدعو لأقـوم شرعـةِ

ومـــا بـــان مـــن حـــق فـــلا تتركنـــه ... ولا تعرضـــن عـــن فكـــرةٍ مـــستقيمةِ

٣) هناك اختلاف في بعض ألفاظ الأبيات؛ حيث ورد بعضها في "مجموع الفتاوى" بلفظ، وفي "الدرة البهية" بلفظ آخر.

وهذا كثير، وقد نبهت عليه في محله، واجتهدت قدر المستطاع في اختيار اللفظ المناسب للمعنى، ووزن البيت.[1]

---

(١) هذه المقدمة من ترجمة شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ نقلها الولد الفاضل حسين بن أحمد الحجوري، مع مقابلة المنظومة على عدة مخطوطات من شرح محمد الحمد، فجزاه الله خيرًا.

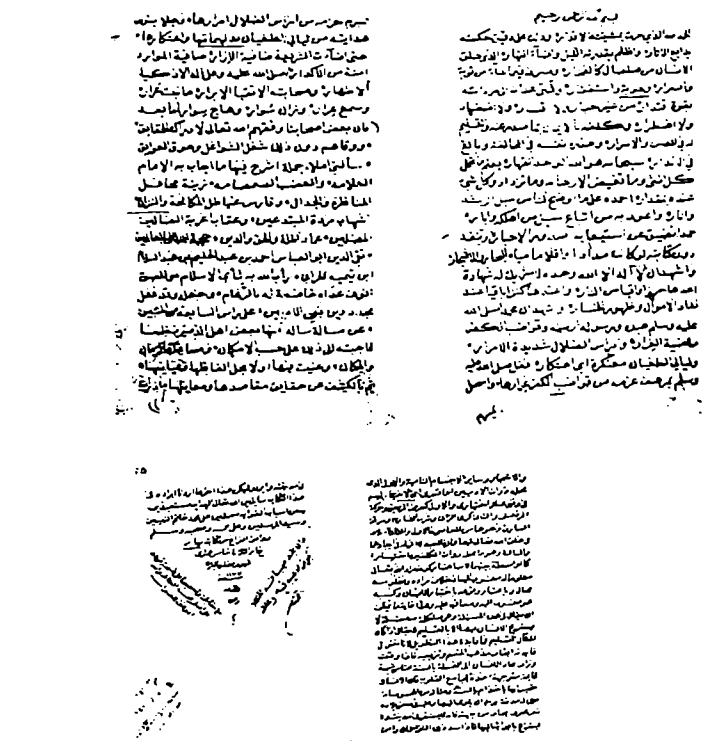

صورة للصفحة الأولى والأخيرة من نسخة (ط)

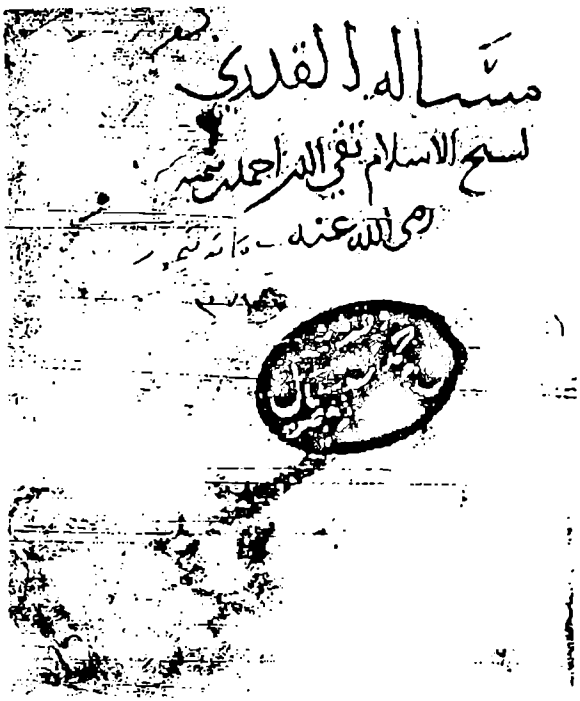

صورة غلاف نسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة للصفحة الأولى من نسخة (أ)

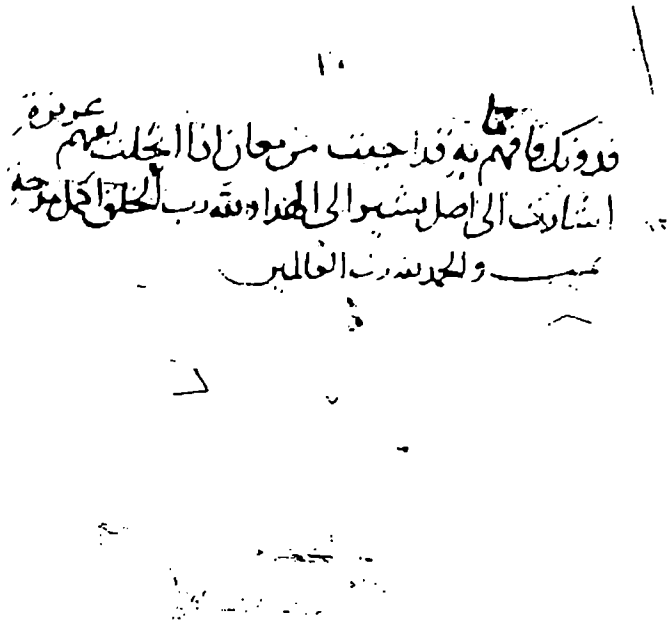

صورة للصفحة الأخير من نسخة (أ)

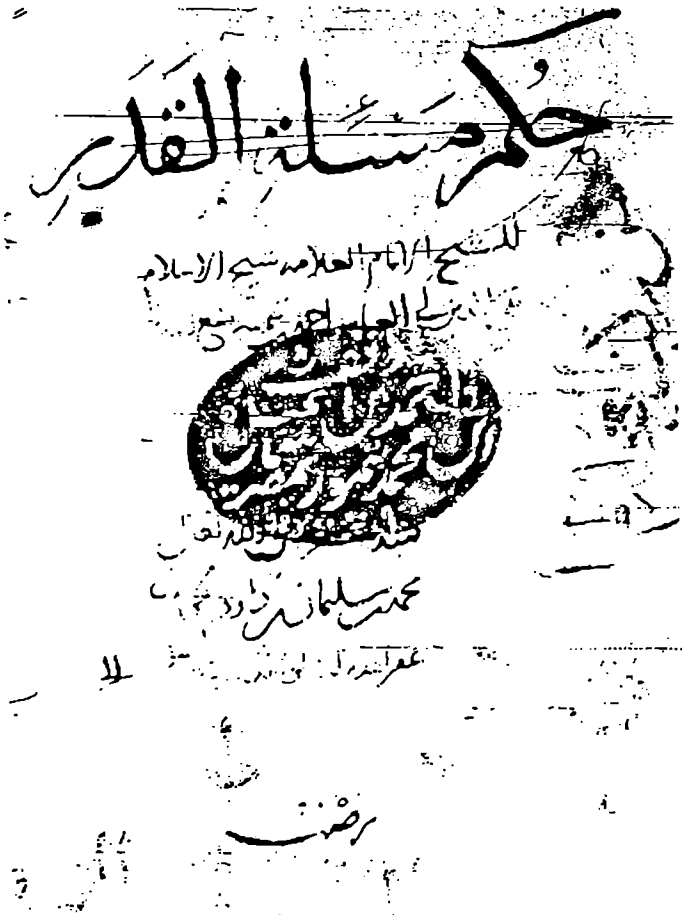

حكم مسألة القدر
للشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام

صورة غلاف نسخة (ب)

صورة للصفحة الأولى من نسخة (ب)

صورة للصفحة الأخيرة من نسخة (ب)

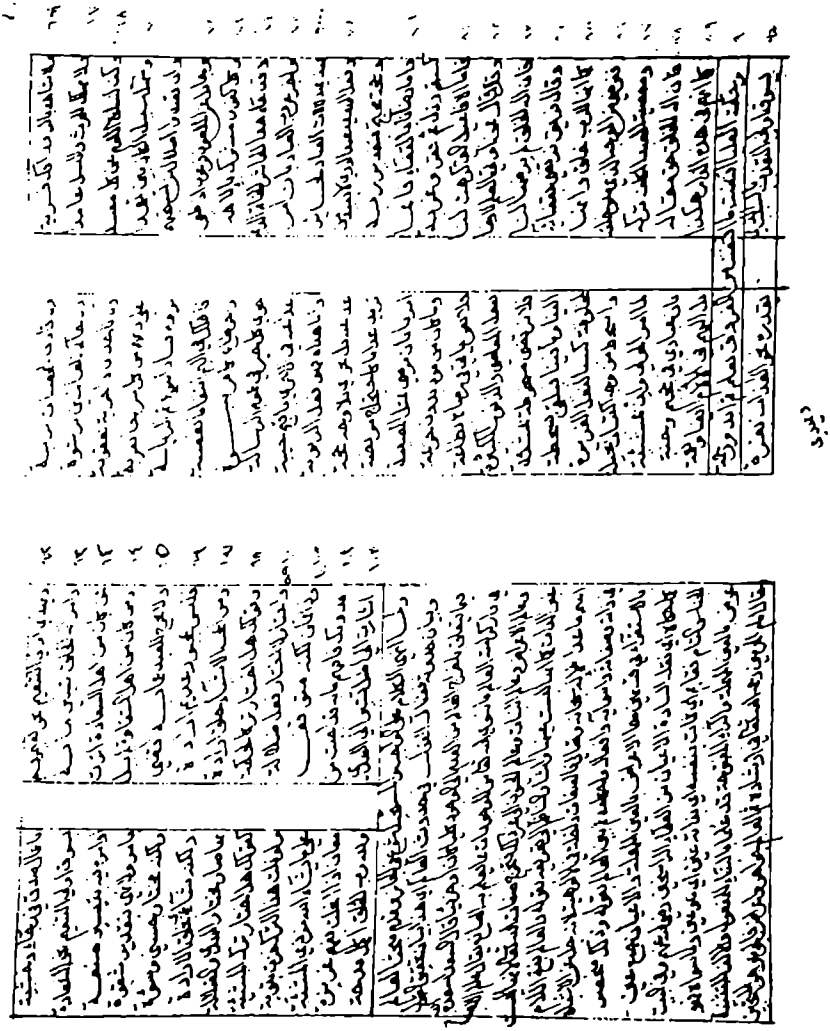

صورة للصفحة الأخيرة من نسخة (د)

صورة للصفحة الأولى والأخيرة من نسخة (ج)

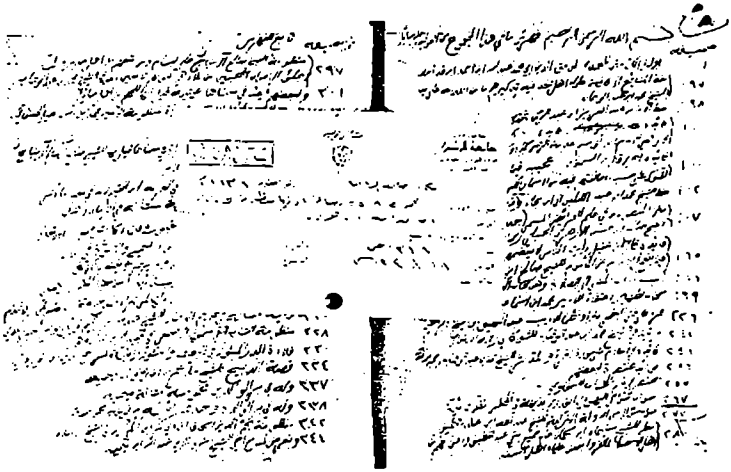

صورة لغلاف نسخة (هـ) والصفحة الأولى

صورة للصفحة الأخيرة من نسخة (هـ)

صورة للصفحة الأولى من نسخة (و)

صورة للصفحة الأخيرة من نسخة (و)

نَصُّ السُّؤَال

قال السائل:

١) أيـا علـماءَ الـدين ذمـيٌّ ديـنكم تحـيرَّ دلـوه بأوضـح حجـة

٢) إذا مـا قـضى ربي بكفـري بـزعمكم ولم يرضـه منـي فـما وجـه حيلتـي

٣) دعـاني وسـدَّ البـابَ عنـيْ فهـل إلى دخـوليْ سـبيلٌ بينـوا لي قـضيتي

٤) قضى بضلالي ثـم قـال: ارضَ بالقـضا فـما أنـا راضٍ[١] بالـذي فيـه شـقوتي

٥) فـإن كنـت بالمقـضي يـاقومُ راضـيًا فَـرَبيَ لا يـرضى بـشؤم بليتـي[٢]

٦) وهل[٣] لِيْ رضا ما ليس يرضاه سيدي فقـد حـرت دلـوني عـلى كـشف حـيرتي

٧) إذا شـاء ربيْ الكفـرَ منـي مـشيئةً فهـل أنـا عـاصٍ في[٤] اتبـاع المـشيئة[٥]

٨) وهـل ليْ اختيـارٌ أن أخـالف حُكْمـه فبـالله فاشـفوا بـالبراهين غُلتـي[٦][٧]

---

(١) في [ط]: فما أنا أرضى.

(٢) في [عقود]: شكيَّتي.

(٣) في [ط] و[ب] و[ج]: فهل.

(٤) في [ط] و[هـ]: باتباع.

(٥) في [ب] و[ج]: مشيئتي.

(٦) في [ط]: علتي.

(٧) في [أ]: تقديم البيت الثامن على السابع.

نَصُّ جَوَابِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رحمه الله عَلَى السُّؤَالِ

قال رحمه الله:

١) سؤالك يا هذا سؤال معاند ... مخاصم[1] ربِّ العرش باري البريةِ

٢) فهذا سؤالٌ[2] خاصم الملأَ العُلى ... قديماً به إبليسُ أصلُ البليةِ

٣) ومن يك خصماً للمهيمن يرجعن ... على أم رأس هاوياً في الحُفيرةِ

٤) ويدعى[3] خصومُ الله يومَ معادهم ... إلى النار طُرَّاً معشرَ[4] القدريةِ

٥) سواءٌ نفوه أو سعوا ليخاصموا ... به اللهَ أو ماروا به للشريعةِ

٦) وأصلُ ضلالِ الخلقِ من كل فرقةٍ ... هو الخوض في فعل الإله بعِلَّةِ

٧) فإنهموا لم يفهموا حكمةً له ... فصاروا على نوع من الجاهليةِ

٨) فإن جميعَ الكونِ أوجب فِعْلَه ... مشيئةُ ربِّ الخلق باري الخليقةِ[5]

٩) وذات إله الخلق واجبة بما ... لها من صفات واجبات قديمةِ

١٠) مشيئتُه مَعْ عِلْمِه ثم قدرة ... لوازم ذات الله قاضي القضيةِ

١١) وإبداعُه ما شاء من مُبدَعاته ... بها حِكْمَةٌ فيه وأنواعُ رحمةِ

---

(١) في [أ] و [و]: يخاصم، وفي عقود: تخاصم.

(٢) في [ط]: وهذا.

(٣) في [ب] و [هـ] و [ج]: وتدعى.

(٤) في [أ] و [ط] و [ب] و [ج] و [هـ]: فرقة.

(٥) في [و]: رب العرش باري البرية.

١٢) ولـسنا وإن قلنـا جَـرَتْ بمـشيئة(١) مـن المنكـري آياتِـه المـستقيمةِ

١٣) بـل الحـقُّ أن الحكـمَ لله وحـده لـه الخلـقُ والأمـرُ الـذي في الـشريعةِ

١٤) هـو المَلِـكُ المحمـودُ في كـلِّ حالـةٍ لـه المُلْـكُ مـن غـير انتقـاص بِـشِركةِ

١٥) فـما شـاء مولانـا الإلـهُ فإنـه يكـون ومـا لا لا يكـون بحيلـةِ

١٦) وقدرتُـه لا نقـص فيهـا وحكمـه(٢) يَعُـمُّ فـلا تخـصيصَ في ذي القـضيةِ

١٧) أُرِيـدُ بـذا أن الحـوادثَ كلَّهـا بقدرتـه كانـت ومحـض المـشيئةِ

١٨) ومالكُنـا في كـلِّ مـا قـد أراده لـه الحمـدُ حمـداً يعـتلي كـلَّ مِدْحـةِ

١٩) فـإن لـه في الخلـق مـن نعـم(٣) سرت ومـن حكـم فـوق العقـول الحكيمـةِ

٢٠) أمـوراً يحـار العقـل فيهـا إذا رأى مـن الحكـم العليـا وكـل عجيبـةِ

٢١) فنـؤمنُ أن الله عـزَّ بقـدرةٍ وخلـقٍ وإبـرامٍ لحكـم المـشيئةِ

٢٢) فنثبـت هـذا كلَّـه لإلهنـا ونثبـت مـا في ذاك مـن كـل حكمـةِ

٢٣) وهـذا مقـام طالمـا عجـز الأُلى نفـوه(٤) وكـروا راجعـين بحـيرةِ

٢٤) وتحقيـقُ مـا فيـه بتبيـين غـوره وتحريـر حـقِّ الحـق في ذي الحقيقـة

٢٥) هـو المطلـب الأقـصى لِـوُرَّاد(٥)بحـره وذا عـسِرٌ في نظـم هـذي القـصيدةِ

---

(١) في [أ]: لمشيئة.

(٢) في [أ]: وخلقه.

(٣) في «مجموع الفتاوى» و«الدرة»: رحمته سرت، والمثبت في الأعلى من: [أ].

(٤) في [أ]: بغوه.

(٥) في «الدرة البهية»: لروَّاد بحره، و(لوُرَّاد) أولى.

٢٦) لحاجتـــه تبيـــينَ علـــمٍ مُحقَّـــقٍ ... لأوصـــاف مولانـــا الإلـــهِ الكريمـــةِ[1]

٢٧) وأســـمائه الحـــسنى وأحكـــام دينـــه ... وأفعالـــه في كـــل هـــذي[2] الخليقـــة

٢٨) وهـــذا بحمـــد الله قـــد بـــان ظـــاهرًا ... وإلهامُـــه للخلـــق أفـــضلُ نعمـــة

٢٩) وقـــد قيـــل في هـــذا وخُـــطَّ[3] كتابُـــه ... بيـــانٌ[4] شـــفاءٌ للنفـــوس المريـــضةِ[5]

٣٠) فقولك: لِمْ قد شاء؟ مثـل سـؤالِ مَـنْ ... يقـــول فَلِـــمْ قـــد كـــان في الأزليـــةِ

٣١) وذاك ســـؤال يبطـــل العقـــلُ وَجْهَـــهُ ... وتحريمُـــه قـــد جـــاء في كـــل شرعـــةِ

٣٢) وفي الكـون تخـصيصٌ كثـيرٌ يـدلُّ مـن ... لـــه نـــوعُ عقـــلٍ أنـــه بـــإرادةِ

٣٣) وإصـــدارُه عـــن واحـــد بعـــد واحـــد ... أو[6] القـــولُ بـــالتجويز رميـــةُ حـــيرةِ

٣٤) ولا ريـــبَ في تعليـــق كـــلِّ مُـــسَبَّبٍ ... بـــما قبلـــه مـــن[7] علـــة مُوجِبيَّـــةِ

٣٥) بل الشأنُ في الأسبابِ أسبابِ مـا تـرى ... وإصدارها[8] عـن حكـم محـض المشيئة

٣٦) وقولـــك: لِمْ شـــاء الإلـــهُ هـــو الـــذي ... أزلَّ[9] عقـــول الخلـــق في قَعْـــر حُفْـــرةِ

---

(١) في «مجموع الفتاوى»: لحاجته إلى بيان محقق.

(٢) في [أ]: هذا.

(٣) في [أ]: وخُصَّ.

(٤) في «الدرة البهية»: بان بدل: بيان.

(٥) في [أ]: السقيمة.

(٦) في [و]: أرى.

(٧) في [و]: في.

(٨) في [ط] و [أ]: وإصداره، وفي [عقود] و [ب] و[هـ]: ومصدرها.

(٩) في [أ]: أضل.

٣٧) فـإن المجـوسَ القـائلين بخـالق ... لنفـع وربٌّ مُبـدعٍ للمَـضرةِ

٣٨) سـؤالُهم عـن علـة الـسرِّ[1] أوقعـت ... أوائلَهـم[2] في شـبهة الثَّنويـةِ[3]

٣٩) وأن ملاحيـدَ الفلاسـفةِ الأُلى ... يقولـون بالفعـل[4] القـديمِ بعلـةِ[5]

٤٠) بغـوا علـة في الكـون[6] بعـد انعدامـه ... فلـم يجـدوا ذاكـم فـضلوا بـضلةِ

٤١) وإن مبـادي الـشر في كـل أمـة ... ذوي[7] ملـة ميمونـة نبويـةِ

٤٢) بخوضـهموا في ذاكُـمُ صـار شركهـم ... وجـاء دروس البينـات بفـترةِ[8]

٤٣) ويكفيـك نقـضاً أن مـا قـد سـألتَهُ ... مـن العـذر[9] مـردودٌ لـدى كـل فطـرةِ

٤٤) فأنـت تعيـب الطـاعنين[10] جـميعهم ... عليـك وتـرميهم بكـل مذمـةِ

٤٥) وتَنْحـل مـن والاك صَـفْوَ مـودةٍ ... وتـبغض مـن نـاواك[11] مـن كـل فرقـة

---

(١) في [ط] و [عقود] و [هـ]: الشَّر.

(٢) في [ط] و [عقود] و [ب] و[ج]: رؤوسهم.

(٣) في [عقود] و [ب] و [ج]: المثنوية، وفي [و]: وثنية.

(٤) في [أ]: بالعقل.

(٥) في [ط] و [أ] و[ب] و [و]: لعلة.

(٦) في [أ] و [ب] و [هـ] و [و]: للكون.

(٧) في [أ]: أمة، وفي [ج]: فإن مبادي الشر في كل فرقة ذوي ملة مخذولة ثنوية

وفي [هـ]: دوى من رضوخ لاتباع لشبهةِ

(٨) في «الدرة البهية»: وجاء رؤوس البينات بقترة. وكذا في [ج]، و[د].

(٩) في [ج]: من الهذر.

(١٠) في [هـ]: الطائمين.

(١١) في «الدرة البهية»: من ناداك، وفي [ب] و[ج]: عاداك.

٤٦) وحـالهم في كـل قـول وفعلـة ... كحالـك يـا هـذا بـأرجح حجـة

٤٧) وهَبْك كففتَ اللومَ عن كل كافرٍ ... وكـلِّ غـويٍّ خـارجٍ عـن محجـة

٤٨) فيلزمـك الإعـراضُ عـن كـل ظـالمٍ ... على[1] الناس في[2] نفس ومالٍ وحرمة

٤٩) فلا تغضبن[3] يوماً على سافك دماً ... ولا سـارقٍ مـالاً لـصاحب فاقـة

٥٠) ولا شـاتمٍ عِرْضـاً مـصوناً وإن عـلا ... ولا نـاكح فرجـاً عـلى وجـه غيـة[4]

٥١) ولا قـاطع للنـاس نهـجَ سـبيلِهم ... ولا مفسد في الأرض من كل وجهة

٥٢) ولا شـاهدٍ بـالزور إفكـاً وفريـةً ... ولا قـاذف للمحـصنات بزنيـة[5]

٥٣) ولا مهلـك للحـرث والنـسل عامـداً ... ولا حـاكمٍ للعـالمين برشـوةِ

٥٤) وكُـفَّ لـسان اللـوم عـن كـل مفـسدٍ ... ولا تأخـذنْ ذا جرمـةٍ[6] بعقوبـةِ

٥٥) وسـهِّل سـبيل الكـاذبين تعمُّـداً ... عـلى ربهـم مِـنْ كـلِّ جـاءٍ[7] بفريـةِ

٥٦) وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم[8] ... بـرومِ فـسادِ النـوع ثـم الرياسـةِ

---

(١) في [و]: من.

(٢) في [ج] و[و]: من.

(٣) في "مجموع الفتاوى"، و[عقود] و [و]: ولا تغضبن.

(٤) في [ج]: متعة، وفي [و]: زنية.

(٥) في [عقود] و[و]: بريبة.

(٦) في [ط] و [أ] و [ب] و [هـ]: خربة، وفي [ج]: خزية.

(٧) في [ج]: من كل من جا بفرية.

(٨) في [ج]: تستحبهم.

٥٧) وجادل عن الملعونِ فرعونَ إذ طغى ... فأُغْرِقَ(١) في اليم انتقاماً بغضبةِ(٢)

٥٨) وكلَّ كفورٍ مشركٍ بإلهه ... وآخرَ طاغٍ كافرٍ بنبوةِ

٥٩) كعادٍ ونمروذ(٣) وقومٍ لصالح ... وقوم لنوح ثم أصحاب الآيكةِ

٦٠) وخاصم لموسى ثم سائر من أتى ... من الأنبياء محيياً للشريعة(٤)

٦١) على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا(٥) ... ونالوا من العاصي(٦) بليغ(٧) العقوبة

٦٢) وإلا فكلُّ الخلقِ في كلِّ لفظةٍ ... ولحظةِ عينٍ أو تحرك شعرةٍ(٨)

٦٣) وبطشة كفٌّ أو تخطي قُديمةٍ ... وكلُّ حراكٍ بل وكل(٩) سكينةِ

٦٤) هم تحت أقدار الإلهِ وحكمهِ ... فما أنت(١٠) فيما قد أتيت بحجةِ

٦٥) وَهَبْكَ رفعت اللومَ عن كل فاعلٍ ... فعالَ(١١) ردىً طرداً(١٢) لهذي المقيسةِ

---

(١) في [أ]: فغرِّق، وفي [ب] و [ج]، و [هـ]: فأهلك.

(٢) في «الدرة البهية»: بغُصَّة، وفي [العقود]: بعصية.

(٣) في [ط]: نمرود.

(٤) في [أ]: من الأنبيا أو محييًا للشريعة.

(٥) في [أ]: على كونهم إذ جاهدوا الناس أن بغوا.

(٦) في «مجموع الفتاوى»: من المعاصي.

(٧) في [عقود]: بلوغ.

(٨) في [هـ]: وإلا فكل الخلق في لفظة ولحظ عين وتحريك لشعرة

(٩) في عقود: بل بكل.

(١٠) في [ط] و[عقود] و [أ] و[ج]، و [هـ]: كما.

(١١) في [ط]: بغاك.

(١٢) في [هـ]: طرًّا.

٦٦) فهل يُمْكِنْ[1] رفعُ الملامِ جميعِهِ ... عن الناس طُرَّاً عند كلِّ قبيحةِ

٦٧) وتركُ عقوبات الذين قد اعتدوا ... وتركُ الورى الإنصافَ بين الرعيةِ

٦٨) فلا تُضمنَنْ[2] نفسٌ ومالٌ بمثلهِ ... ولا يعقبن[3] عادٍ بمثل الجريمةِ

٦٩) وهل في عقول الناس أو في طباعهم ... قبولٌ لقول النذل: ما وجه حيلتي

٧٠) ويكفيك نقضاً ما بجسمِ ابنِ آدمٍ ... صبيٍّ ومجنون وكلٍّ بهيمةِ

٧١) من الألم المقضيِّ من[4] غير حيلةٍ ... وفيما يشاء الله أكملُ حكمةِ

٧٢) إذا كان في هذا له حكمةٌ فما ... يُظن[5] بخلق الفعل ثم العقوبة

٧٣) فكيف[6] ومِنْ هذا عذاب مُولَّدٌ ... عن الفعلِ فِعل العبد عند[7] الطبيعة

٧٤) كآكِلِ سمٍّ أوجب الموتَ أكلُه ... وكلٌّ بتقديرٍ لرب البرية[8]

٧٥) فَكُفْرُك يا هذا كسمٍّ أكلْتَهُ ... وتعذيبُ نارٍ مثل[9] جرعةِ غصةِ

٧٦) ألست ترى في هذه الدار مَنْ جنى ... يعاقب إما بالقضا أو بشرعة

---

(١) في «مجموع الفتاوى»: يمكن، وفي [عقود]: تمكنن، و[ج]: ممكنًا.

(٢) في [ب] و[ج] و[هـ]: فلا يضمنن، وفي [ط]: ولا يضمنن.

(٣) في [عقود] و[ب]: تعقبن.

(٤) في [عقود]: في.

(٥) في [عقود]: ظن.

(٦) في [ط] و[ب]: وكيف.

(٧) في [عقود]: عبد.

(٨) في «الدرة البهية»: لرب المشيئة، وفي [ط] و[و]: المشيئة، وفي [ب] و[ج] و[هـ]: المنية.

(٩) في [و]: بعد.

٧٧) ولا عُـذْرَ للجـاني بتقـدير خـالقٍ ... كـذلك[1] في الأخـرى بـلا مَثْنَويَّـةِ

٧٨) وتقـدير ربِّ الخلـق للـذنب موجِـبٌ ... لتقـدير[2] عقبـى الـذنب إلا بتوبـةِ

٧٩) ومـا كـان مـن جـنس المتـاب لرفعـه ... عواقـبَ أفعـالِ العبـادِ الخبيثـةِ

٨٠) كخـيرٍ[3] بـه تُمحى[4] الـذنوبُ ودعـوةٍ ... تُجـاب مـن الجـاني ورُبَّ شـفاعة[5]

٨١) وقـولُ حليـف الـشرِّ[6]: إني مقـدرٌ ... عـليَّ كقـول الـذئب[7]: هـذي طبيعتـي

٨٢) وتقـديره للفعـل يجلـب نقمـةً[8] ... كتقـديره الأشـياءَ[9] طـراً بعلـةِ

٨٣) فهـل[10] يـنفعن عُـذْرُ[11] الملـوم بأنـه[12] ... كـذا طبعـه أم هـل يقـال لعثـرةِ

٨٤) أم الـذمُّ والتعـذيب أوكـد للـذي ... طبيعتـه فعـل الـشرور الـشنيعة

---

(١) في [ط]: لذلك.

(٢) في [أ]: كتقدير.

(٣) في [ط] و[ج]: كخيريَّة، وفي [عقود]: كجبرية.

(٤) في [ط] و[عقود]: تمحي.

(٥) في «الدرة البهية»: ورَبِّ الشفاعة.

(٦) في [عقود]: الشعر.

(٧) في [ب] و [عقود]: الذيب.

(٨) في «الدرة»: نعمة.

(٩) في [ط] و[ب] و[ج]، و[هـ]: الآثار.

(١٠) في [ط]: وهل.

(١١) في «الدرة البهية»: فهل يرفعن ذم الملوم.

وفي [أ]: فهل يرفعن ذنب. وفي [ج]: فلم ينفعن عذر الملوم لأنه.

(١٢) في [عقود]: لأنه.

٨٥) فإن كنتَ ترجو أن تجاب بما عسى ... ينجِّيك من نار الإله العظيمةِ

٨٦) فدونك ربَّ الخلقِ فاقْصُدْه ضارعاً ... مريداً لأن يهديك نحو الحقيقةِ

٨٧) وذلِّل قيادَ النفسِ للحق واسمعن[1] ... ولا تعرضن عن فكرة مستقيمةِ[2]

٨٨) وما بان من حق فلا تتركنَّه ... ولا تعصِ من يدعو لأقوم شرعةِ[3]

٨٩) ودَعْ دِينَ ذي العاداتِ لا تتبَعَنَّه ... وعُجْ عن سبيل الأمةِ الغضبيَّة

٩٠) ومن ضل عن حقٍّ فلا تقفونَّه[4] ... وزنْ ما عليه الناس بالمَعْدِلِيةِ

٩١) هنالك تبدو طالعاتٌ من الهدى ... بتبشير[5] من قد جاء بالحنفية

٩٢) بملة إبراهيم ذاك إمامنا ... ودين رسول الله خير البريةِ[6]

٩٣) فلا يقبل الرحمنُ ديناً سوى الذي ... به جاءت الرسْلُ الكرامُ السجيةِ

٩٤) وقد جاء هذا الحاشرُ الخاتَم الذي ... حوى كلَّ خير في[7] عموم الرسالةِ

٩٥) وأخبر عن رب العباد بأنَّ مَنْ ... غدا[8] عنه في الأخرى بأقبحِ خيبةِ[9]

---

(١) في [ط]: فاسمعن.

(٢) في [ط]: ولا تعص من يدعو لأقوم ريَعة. وفي [أ]: ولا تعص من يدعو لأقوم شرعة.

(٣) في [ج]: رفعة، وفي [عقود]: رَيْعة.

(٤) في "الدرة البهية": فلا تعفونه.

(٥) في [ط] و[أ]: تبشِّر.

(٦) في [أ]: الخليقة.

(٧) في [أ]: من.

(٨) في [ط] و[أ] و[ج]: عدا.

(٩) في [عقود]: جَنْية.

٩٦) فهـــذي دلالاتُ العبـــادِ لحـــائر ... وأمـــا هـــداه فهـــو فعـــلُ الربوبـــةِ[1]

٩٧) وفَقْدُ الهدى عند الورى لا يفيـد[2] مَـنْ ... غدا[3] عنه بـل يجـري[4] بـلا وجـه حجـةِ

٩٨) وحجـــةُ محـــتجٍّ بتقـــدير ربِّـــه ... تزيـــد[5] عـــذاباً كاحتجـــاج مريـــضةِ

٩٩) وأمـــا رضـــانا بالقـــضاء فـــإنما ... أمرنـــا بـــأن نـــرضى بمثـــل المـــصيبةِ

١٠٠) كـــسقمٍ وفقـــرٍ ثـــم ذلٍّ وغُربـــةٍ ... ومـــا كـــان مـــن مـــؤذٍ[6] بـــدون[7] جريمـــةِ

١٠١) فأمـــا الأفاعيـــلُ التـــي كرهـــت لنـــا ... فـــلا نـــصَّ يـــأتي في رضـــاها بطاعـــةِ

١٠٢) وقد قـال قـومٌ[8] مـن أولي العلـم: لا ... بفعـلِ المعـاصيْ والـذنوبِ الكبـيرةِ[9]

١٠٣) فـــإن إلـــهَ الخلـــق لم يرضَـــها لنـــا ... فـــلا نرتـــضي مـــسخوطةً لمـــشيئةِ[10]

١٠٤) وقـــال فريـــقٌ نرتـــضي بقـــضائه[11] ... ولا نرتـــضي المقـــضيَّ أقـــبحَ[12] خـــصلةِ

---

(١) في [عقود]: الربوبية.

(٢) في [عقود]: لا يقيل.

(٣) في [ط] و[عقود] و[أ] و[ب] و[ج] و[هـ]: عدا.

(٤) في «مجموع الفتاوى»: يُجْزى، وفي [ط] و[عقود] و[ب]: يجزى.

(٥) في [عقود] و«الدرة البهية»: (يزيد)، وفي [ط]: مزيد.

(٦) في [عقود]: سوء.

(٧) في [و]: بغير.

(٨) في [ج]: وقد قال ممن أوتي...

(٩) في [عقود] و[و]: الكريهة.

(١٠) في [أ] و[ج] و[هـ]: بمشيئة.

(١١) في [عقود]: ترتضى لقضائه.

(١٢) في [ط]: خلة، وفي [و]: لأقبح خلة.

١٠٥) وقـــال فريـــقٌ نرتـــضي بإضـــافةٍ ... إليـــه[1] ومـــا فينـــا فنلقـــى[2] بـــسخطةِ

١٠٦) كـــما أنهـــا للـــرب خلـــقٌ وأنهـــا ... لمخلوقـــه كـــسبٌ كفعـــل[3] الغريـــزة[4]

١٠٧) فنرضى[5] من الوجه الذي هوخلقـه[6] ... ونسخط[7] من وجه اكتـــاب الخطيئـةِ[8]

١٠٨) ومعـــصيةُ العبـــدِ المكلـــفِ تركُـــه ... لمـــا أمـــر المـــولى وإن بمـــشيئةِ

١٠٩) فـــإن إلـــه الخلـــقِ حـــقٌّ مقالُـــه ... بـــأن عبـــادي[9] في جحـــيم وجنـــةِ[10]

١١٠) كـــما أنهـــم في هـــذه الـــدار هكـــذا ... بـــل الـــبهم في الآلام أيـــضًا ونعمـــة

١١١) وحكمتُه العليا اقتضت مـا اقتـضت ... ـــفروق بعلـــمٍ ثـــم أيـــدٍ ورحمـــةِ

١١٢) يسوق أولى التعذيب بالـسبب الـذي ... يقـــدّره نحـــو العـــذاب[11] بعـــزةِ

١١٣) ويهدي أولي[12] التنعيم نحـو نعـيمهم ... بـــأعمال صـــدق في رجـــاءٍ وخـــشيةِ

---

(١) في [ج]: إلينا.

(٢) في [أ]: فيلقى.

(٣) في [ج]: لفعل.

(٤) في "مجموع الفتاوى": (لمخلوقةٍ ليست كفعل الغريزة).

(٥) في [عقود]: فترضى، وفي [ط]: فيرضى.

(٦) في [و]: حقه.

(٧) في [ط]: ويسخط، وفي [ج]: وأسخط.

(٨) في "الدرة البهية": (ونسخط من وجه اكتساب بحيلة)، وكذا في [ط]، و[عقود]، و[ج] و[و].

(٩) في [عقود] و"مجموع الفتاوى": (بأن العباد...)، وفي [أ]: بأن البرايا.

(١٠) في [هـ]: في نعيم وجنة.

(١١) في [هـ]: العتاب.

(١٢) في [ط]: إلى.

١١٤) وأمـرُ إلـه الخلـق بـيَّن[1] مـا بـه ... يـسوق أولي التنعـيم نحـو الـسعادةِ

١١٥) فمن كان مـن أهـل الـسعادة أثَّرت ... أوامـرُه فيـه بتيـسير[2] صـنعةِ

١١٦) ومن كان من أهـل الـشقاوة لم يُبَلْ[3] ... بـأمر ولا نهـي بتيـسير[4] شـقوةِ

١١٧) ولا مخـرجٌ للعبـد عـما بـه قـضى ... ولكنـه مختـارُ حُـسْنٍ وسـوأة

١١٨) فلـيس بمجبـورٍ عـديم إرادةً[5] ... ولكنـه شـاءٍ بخلـق الإرادة[6]

١١٩) ومن أعجبِ الأشياءِ خلقُ مشيئةٍ ... بهـا صـار مختـارَ الهـدى والـضلالة[7]

١٢٠) فقولـك: هـل أختـار تركـاً لحكمـه	كقولـك: هـل أختـار تـرك المـشيئة[8]

١٢١) وأختـار[9] لا أختـار فعـل ضـلالة ... ولـو نلـت هـذا الـترك فـزت بتوبـةِ

١٢٢) وذا ممكـن لكنـه متوقـف ... عـلى مـا يـشاء الله مـن ذي المـشيئة[10]

١٢٣) فدونك فافهم ما بـه قـد أُجبْـتَ مِـنْ ... معـانٍ إذا انحلـت بفهـم غريـزة

---

(١) في [ط] و[أ] و[هـ]: تبين.

(٢) في [هـ]: بتدبير.

(٣) في [عقود] و[هـ]، و«مجموع الفتاوى»: (لم ينل).

(٤) في [ط] و[أ]: بتقدير.

(٥) في «مجموع الفتاوى» (عديم الإرادة)، وفي [أ]: أراده.

(٦) في [ط]: إرادة.

(٧) في «مجموع الفتاوى» (بالضلالة)....

(٨) في «مجموع الفتاوى»: (... كقولك: هل أختار ترك المشيئة)، وفي «الدرة البهية»: (... لحكمه كقولك: هل أختار ترك مشيئتي)، وفي [ط]: مشيئةٍ.

(٩) في [ط] و[عقود]: (واختار أن لا آختار).

(١٠) في [أ]: المشيَّة.

١٢٤) أشارت إلى أصل يشير إلى الهدى ... ولله رب الخلق أكمل[1] مدحةِ

١٢٥) وصلى إله الخلق جل جلاله ... على المصطفى المختار خير البرية[2]

---

(١) في [هـ]: أدوم.

(٢) هذا البيت ساقط في جميع النسخ إلا في "مجموع الفتاوى" و"العقود".

الشَّرْح

قال شيخنا حفظه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم، حاصل هذه المنظومة[٤] من هذا الذمي اليهودي كما يزعم أنه يحتج بالقدر، وهو من البراهين على أن فكرة القدر ليست من الإسلام، وبلا شك، وإنما هي من عند اليهود، وتلقاها من اليهود بعض المفتونين من المسلمين كما هو معلوم في موطنه من كتب العقيدة. وإنما الفتن تهجم على المسلمين من الكفرة الذين قال الله عز وجل ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

فهم ليسوا راضين عن قناعة المسلمين بدينهم، وعن سيرهم الحسن ببصيرة ونور، حتى يُلقوا بينهم الشهوات والشبهات؛ شأن الذين قد عُلِم مرض قلوبهم، وأشد أمراض القلوب الكفر، قال الله عزوجل في كتابه الكريم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران:٧].

فأشد ذوي الزيغ هم اليهود، وسائر الكفرة، وما يجعلونه في أوساط

---

(٤) قال شيخنا حفظه الله تعالى: معنى التائية أي أن المنظومة كان آخرها تاء.

المسلمين من الأفكار التي يتلقاها كثير المسلمين منهم؛ لقصد الفتنة، ومنها فكرة القدر، التي كان منشؤها بقوة من البصرة، حتى إن بعض المحدثين كان إذا جاءهم بصريٌّ اختبره بالقدر، وإذا جاءه كوفيٌّ اختبره بالتشيع، والشام كان منشأ النصب فيها، الأصل هناك من أولئك الأمراء، ومن سار مسارهم.

الحاصل أنها بلوى على المسلمين ، كل حين تظهر عليهم بعض الأفكار؛ لذلك قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[الفرقان:٢٠]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

فابتلى الله المسلمين بالكفار، ثم ابتلى الله المسلمين بالمتأثرين بالكفار، هؤلاء المبتدعة هم حقيقةً تلاميذ الكفار، تلقوا الأفكار منهم.

لو نظرت إلى الباطنية، أو إلى الجهمية، أو إلى القدرية، أو إلى الرافضة، أو إلى الحلولية والاتحادية، كل أولئك تجد أصول بدعهم من عند الكفار، ثم هؤلاء المسلمون صاروا عِبئًا ووبالًا، على المسلمين. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأنعام:٦٥].[1]

---

(١) روى الإمام البخاري في "صحيحه" [كتاب التفسير/ ح: ٤٦٢٨]: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[الأنعام/ ٦٥]، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِن

وما حصلت الاختلافات، وانفكت الثنتان وسبعون فرقة من الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية؛ إلا عن طريق الكفار ومن اغتر بأفكارهم.

والشبهة التي ألقاها اليهودي، أو من قالها على لسان اليهودي هي شبهة مدحوضة باطلة؛ لقوله تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، ولقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

فأجاب شيخ الإسلام، الشيخ الإمام العالم العلامة أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:

١) سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم[1] ربَّ العرش باري البريةِ[2]

قال حفظه الله تعالى: لا شك أنَّ هذا السؤال الذي أورده هذا الذمي سؤال معاند. والمعاند هو الذي يرد الحق مع العلم به، وهذا الذمي معاند لأمر الله، وحكم الله سبحانه وتعالى، الله يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ويقول: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، ويقول: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ»، أَوْ «هَذَا أَيْسَرُ».

(١) في [أ] و [و]: يخاصم.

(٢) البرية: المخلوقات.

*وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:١-٣] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة:١٦] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:٢١٤].

فالله خلق العباد ليبتليهم[٢]، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[الملك:١-٢].

والله عز وجل لم يجبرهم، وهذا الذمي قصيدته جبرية، يدعي أنه مجبور على كفره، وهذا قول ردَّهُ اللهُ سبحانه وتعالى على المشركين جميعًا، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾[الأنعام:١٤٨]، هذا القدري معاندٌ، والمعاند لا حيلة إلى إقناعه إلا أن يشاء الله.

---

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في "الوابل الصَّيِّب" (ص٩) -بعد أن ذكر أركان الصبر، وأنه إذا قام به العبد كما ينبغي؛ انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبًا- قال: فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله؛ ليهلكه، وإنما ابتلاه؛ ليمتحن صبره وعبوديته. اهـ

قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٢) فهــذا ســؤالٌ(١) خَاصــم المــلأَ العُــلى قــديمًا بــه إبليــسُ أصــلُ البليــةِ

قال حفظه الله: إبليس خاصم بهذا السؤال ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[الحجر:٣٩، ٤٠]، قال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، ولم يقل (بما غويت)؛ فإنه هو الذي غوى، قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، وأُمر بالسجود، فأبى أن يسجد وجعل يكذب، ويغرر بآدم وذريته ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[الأعراف:٢١، ٢٢].

فأصل كل البلية هو الشيطان.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[ص:٦٩]، أي: لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملإِ الأعلى؟ يعني في شأن آدم، وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه.

---

(١) في [ط]: وهذا.

قوله رحمه الله:

٣) ومـن يـك خـصمًا للمهـيمن يـرجعن   عـلى أم رأس هاويًـا في الحُفـيرة

قال حفظه الله تعالى: أي إن الإنسان إذا كان معاندًا لله سبحانه، مضادًّا لله سبحانه وتعالى؛ فإن الله يخصمه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[السجدة:٢٢] ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].

وفي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ».[1]

نعم، فالذي يخاصم الله، ويحاد الله، ويشاق الله؛ فالله شديد العقاب، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:١٣].

---

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق من "صحيحه" [الباب ٣٨/ ح: ٦٥٠٢].

قوله رحمه الله:

٤) ويــدعى(١) خـصومُ اللهِ يـومَ معـادهم إلى النـار طُـرًّا معــشرَ(٢) القدريــةِ

قال حفظه الله تعالى: يوم معادهم، أي: يوم القيامة يعود الناس إلى ربهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦، ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۞ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤١-٤٣] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

وقوله: طُرًّا.

اي: جميعًا، ويدعون يوم معادهم إلى النار طُرًّا معشر القدرية، أي: كلهم أصنافهم الثلاثة(٣) على هذا المعنى كفار؛ لأن الذين هم طر إلى النار هم كفار،

---

(١) في [ب] و [هـ]و [ج]: وتدعى.

(٢) في [أ] و [ط] و[ب] و[ج] و[هـ]: فرقة.

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "الفتاوى" (٣/ ١١١): أهل الضلال الخائضون في القدر

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الزمر:٧١]، وقال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر:٧١، ٧٢].

انقسموا الى ثلاث فرق: مجوسية، ومشركية، وإبليسية. فالمجوسية الذين كذبوا بقدر الله، وإن آمنوا بأمره ونهيه فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب، ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته، وخلقه، وقدرته، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم. والفرقة الثانية المشركية الذين أقروا بالقضاء والقدر، وأنكروا الأمر والنهى، قال تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام:١٤٨]، فمن احتج على تعطيل الأمر والنهى بالقدر؛ فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدعى الحقيقة من المتصوفة. والفرقة الثالثة وهم الإبليسية الذين أقروا بالأمرين، لكن جعلوا هذا متناقضًا من الرب سبحانه وتعالى، وطعنوا فى حكمته وعدله، كما يذكر ذلك عن إبليس مقدمهم، كما نقله أهل المقالات ونقل عن أهل الكتاب.اهـ والرابعة أيضًا.

قال رحمه الله في "الفتاوى" (١٣/ ٣٦): ثم كثر الخوض فى القدر، وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام، وبعضه فى المدينة، فصار مقتصدوهم، وجمهورهم يُقِرُّون بالقدر السابق، وبالكتاب المتقدم، وصار نزاع الناس فى الإرادة، وخلق أفعال العباد، فصاروا فى ذلك حزبين: النُّفَاة يقولون: لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئًا من أفعال العباد. وقابلهم الخائضون فى القدر من المجبرة، مثل الجهم بن صفوان وأمثاله، فقالوا: ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة. وقالوا: العبد لا فعل له البتة، ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط. وكان جهم مع ذلك ينفي الأسماء والصفات، يذكر عنه أنه قال: لا يُسَمَّى الله شيئًا، ولا غير ذلك من الأسماء التي تسمى بها العباد إلا القادر فقط؛ لأن العبد ليس بقادر.اهـ

فهذا مصير من شيخ الإسلام إلى تكفير القدرية الجبرية[1] الذين هم من

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: قال الأوزاعي، والزبيدي، وغيرهما: ليس في الكتاب والسنة لفظ (جبر)، وإنما في السنة لفظ (جبل) كما في "الصحيح" أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم، والأناة»، فقال: أخلقين تخلقت بهما، أم خلقين جُبِلت عليهما؟ فقال: «بل خلقين جبلت عليهما»، فقال: الحمد لله الذي جَبَلَنِي على ما يحب.

فقال الأوزاعي، والزبيدي، وغيرهما من السلف: لفظ (الجبل) جاءت به السنة، فيقال: جَبَل اللهُ فلانًا على كذا. وأما لفظ (الجبر)، فلم يرد.

وأنكر الأوزاعي، والزبيدي، والثوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهم لفظ (الجبر) في النفي والإثبات؛ وذلك لأن لفظ (الجبر) مجمل؛ فإنه يقال: (جبر الأب ابنته على النكاح) لأفعالهم، والله تعالى قادر على إحداث إرادة للعبد، ولاختياره، وجعله فاعلًا بقدرته، ومشيئته؛ فهو أعلى وأقدر من أن يجبر غيره، ويكرهه على أمر شاءه منه، بل إذا شاء؛ جعله فاعلًا له بمشيئته، كما أنه قادر على أن يجعله فاعلًا للشيء مع كراهته له؛ فيكو ن مريدًا له حتى يفعله مع بغضه له، كما قد يشرب المريضُ الدواءَ مع كراهته له، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[الرعد:١٥]، وقال: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[آل عمران:٨٣].

فكل ما يقع من العباد بإرادتهم، ومشيئتهم؛ فهو الذي جعلهم فاعلين له بمشيئتهم، سواء كانوا مع ذلك فعلوه طوعًا، أو كانوا كارهين له فعلوه كرهًا، وهو سبحانه لا يكرههم على ما لا يريدوه، كما يكره المخلوقُ المخلوقَ، حيث يكرهه على أمرٍ، وإن لم يرده، وليس هو قادرًا أن يجعله مُريدًا له، فاعلًا له، لا مع الكراهة ولا مع عدمها؛ فلهذا يقال للعبد إنه جبر غيره على الفعل، والله أعلى وأجل وأقدر من أن يقال بأنه جبر بهذا المعنى.

وقد يستعمل لفظ الجبر في أعم من ذلك، بحيث يتناول كل من قهر غيره، وقدر عليه، فجعله فاعلًا لما يشاء منه، وإن كان هو المحدث لإرادته وقدرته عليه.

قال محمد بن كعب القرظي في اسم الله (الجبار)، قال: هو الذي جبر العباد على ما أراد. وكذلك ينقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال في الدعاء المأثور: «اللهم داحي المدحوات، وباري المسموكات، جبار القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها»، والجبر من الله بهذا الاعتبار معناه: القهر والقدرة، وأنه يقدر أن يفعل ما يشاء، ويجبر على ذلك، ويقهرهم

الجهمية.

وهذه المنظومة على سياق أقوال الجبرية، وتكفير القدرية النفاة بقسميهما: نفاة علم الله سبحانه وتعالى، وأن الله ما علم الأمور إلا بعد حدوثها، هم لم ينكروا مطلقًا علم الله، لكن أنكروا علم الله قبل حدوث الحوادث، ويقولون: (الأمر أنف)، فهؤلاء كفار، قاله الإمام أحمد، والشافعي، وعمر بن عبد العزيز، وعدد من أهل العلم.

حاجوهم بالعلم، إن أقروا به وإلا كفروا،(٢) فهؤلاء ينكرون أدلة القرآن

عليه؛ فليس كالمخلوق العاجز الذي يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، ومن جَبْرِه، و قهْرِه، وقدرته أن يجعل العباد مريدين لما يشاء منهم، إما مختارين له طوعًا، وإما مريدين له مع كراهتهم له، ويجعلهم فاعلين له، وهذا الجبر الذي هو قهره بقدرته لا يقدر عليه غيره، وليس هو كإجبار غيره وإكراهه من وجوه.اهـ مختصرًا كما في الفتاوى (٨/ ٤٦١-٤٦٦).

(٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله: ناظروا القدرية بالعلم؛ فإنْ أقروا به؛ خصموا، وإن أنكروا؛ كفروا.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في "طريق الهجرتين" (١/ ٢٤٣): سأل أبو الحسن الأشعري أبا علي الجُبائي عن ثلاثة إخوة لأب وأم، مات أحدهم صغيرًا، وبلغ الآخر، فاختار الإسلام، وبلغ الآخر فاختار الكفر، فاجتمعوا عند رب العالمين، فرفع درجة البالغ المسلم، فقال أخوه الصغير: يا رب، ارفع درجتي حتى أبلغ منزلة أخي. فقال: إنك لا تستحق، إن أخاك بلغ، فعمل أعمالًا استحق بها تلك الدرجة. فقال: يا رب، فهلا أحييتني حتى أبلغ، فأعمل عمله. فقال: كانت تلك لمصلحة تقتضي اخترامك قبل البلوغ؛ لأني علمت أنك لو بلغت؛ لاخترت الكفر؛ فكانت المصلحة في قبضك صغيرًا. قال: فصاح الثالث بين أطباق النار، وقال: يا رب، لِـمَ لَـمْ تُمتني صغيرًا. فما جواب هذا أيها الشيخ؟ فلم يرد إليه جوابًا.

قالوا: وإذا علم سبحانه من بعض العبيد أنه لا يختار الإسلام، وأنه لا يكون إلا كافرًا،

في علم الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:٩-١١] ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[يونس:٣٠] ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩].

وقال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[الأنعام:٢٨]، هذه الآية فيها أنَّ الله يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

مفسدًا في الأرض، فأي مصلحة لهذا العبد في إيجاده؟ قالوا: وأي مصلحة لإبليس وذريته الكفار في إيجادهم؟

فإن قلتم: عرضهم للثواب.

قيل لكم: كيف يعرضهم لأمر قد يعلم أنهم لا يفعلونه، ولا يقع منهم البتة.

ومن هنا أنكر غلاتُهم العلمَ القديم، وكفَّرهم السلف على ذلك، ومن أقرَّ به منهم؛ فإقراره به مُبطل لمذهبه، وأصله في وجوب مراعاة الصلاح والأصلح، وهذا معنى قول السلف (ناظروا القدرية بالعلم).اهـ

وهؤلاء قد انقرض مذهبهم، ويوجد منهم بواقي، أما مذهبهم فزال.

وصنف ثالث مختلف فيهم، وهم الذين يقولون: إن الله قَدَّر الخير ولم يقدر الشر، عندهم شبهة مدحوضة باطلة، ومما استدلوا به حديث: «**والشر ليس إليك**»،[1] وقد بيَّن أهل العلم أنَّ معناه: (لا يصعد إليك، لايتقرب به إليك، ليس القربى إليك...) خمسة أوجه ذكرها النووي في «الأذكار»، وفي شرح الحديث.[2]

وكفرهم جماعة من أهل العلم.[3]

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب المسافرين من «صحيحه» [الباب ٢٦/ح: ١٨٤٨].

(٢) قال النووي في «شرحه على مسلم» (٣/ ١٢١): أَمَّا قَوْله: «وَالشَّرّ لَيْسَ إِلَيْك»، فَمِمَّا يَجِب تَأْوِيله؛ لِأَنَّ مَذْهَب أَهْل الْحَقّ أَنَّ كُلّ الْمُحْدَثَات فِعْل الله تَعَالَى، وَخَلْقه، سَوَاء خَيْرهَا وَشَرّهَا، وَحِينَئِذٍ يَجِب تَأْوِيله، وَفِيهِ خَمْسَة أَقْوَال: أَحَدهَا: مَعْنَاهُ: لَا يُتَقَرَّب بِهِ إِلَيْك. قَالَهُ الْخَلِيل ابْن أَحْمَد، وَالنَّضْر بْن شُمَيْل، وَإِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ، وَيَحْيَى بْن مَعِين، وَأَبُو بَكْر بْن خُزَيْمَة، وَالْأَزْهَرِيّ وَغَيْرهمْ. وَالثَّانِي: حَكَاهُ الشَّيْخ أَبُو حَامِد عَنْ الْمُزَنِيّ، وَقَالَهُ غَيْره أَيْضًا، مَعْنَاهُ: لَا يُضَاف إِلَيْك عَلَى اِنْفِرَاده، لَا يُقَال: يَا خَالِق الْقِرَدَة وَالْخَنَازِير، وَيَا رَبّ الشَّرّ. وَنَحْو هَذَا، وَإِنْ كَانَ خَالِق كُلّ شَيْء، وَرَبّ كُلّ شَيْء؛ وَحِينَئِذٍ يَدْخُل الشَّرّ فِي الْعُمُوم. وَالثَّالِث: مَعْنَاهُ: وَالشَّرّ لَا يَصْعَد إِلَيْك، إِنَّمَا يَصْعَد الْكَلِم الطَّيِّب وَالْعَمَل الصَّالِح. وَالرَّابِع: مَعْنَاهُ: وَالشَّرّ لَيْسَ شَرًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْك؛ فَإِنَّك خَلَقْته بِحِكْمَةٍ بَالِغَة، وَإِنَّمَا هُوَ شَرٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ. وَالْخَامِس: حَكَاهُ الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ كَقَوْلِك: فُلَان إِلَى بَنِي فُلَان. إِذَا كَانَ عِدَاده فِيهِمْ، أَوْ صَفُّوهُ إِلَيْهِمْ. اهـ

وأما في «الأذكار» ذكر أربعًا منها.

(٣) قال عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٢٨٠) -وسئل عن القدرية والصلاة خلفهم وما جاء فيهم؟-: سمعت أبي رحمه الله يقول: «لا يصلى خلف القدرية، والمعتزلة، والجهمية». سألت أبي مرة أخرى عن الصلاة خلف القدري؟ فقال: «إن كان ممن يخاصم فيه، ويدعو إليه؛ فلا نصلي

طرًّا إلى النار؛ لأنه تكذيب بالقرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۞ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:٤٩-٥٠]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ

خلفه». سمعت أبي رحمه الله، وسأله علي بن الجهم عمَّن قال: بالقدر يكون كافرًا؟ قال: «إذا جحد العلم، إذا قال: إن الله عزوجل لم يكن عالمًا حتى خلق علمًا، فعلم، فجحد علم الله عزوجل؛ فهو كافر». اهـ

وقال اللالكائي رحمه الله في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٣٨٥): سياق ما رُوي من المأثور في كفر القدرية وقتلهم، ومن رأى استتابتهم، ومن لم ير، رُوي عن ابن عباس أن كلام القدرية كفر، ورُوي عن ابن عمر أنه لعنهم وتبرأ منهم، ولا يجوز على ابن عمر أن يتبرأ من المسلمين، وعن علي أنه قال لمن أنكر القدر فأقر به: والله، لو قلت غير هذا؛ لضربت الذي فيه عيناك. وعن ابن عباس، وابن عمر معناه.

ومن التابعين: عمر بن عبد العزيز، ونافع بن مالك عم مالك الفقيه: يستتابون؛ فإن تابوا وإلا قتلوا. ورُوي عنه: ونفوا من ديار المسلمين. وعن رجاء بن حيوة، وعبادة بن نسي أنهم أفتوا بقتلهم.

ومن الفقهاء: عن مالك بن أنس، والأوزاعي، وعبيد الله بن الحسن العنبري: يستتابون؛ فإن تابوا وإلا قتلوا. وعن سعيد بن جبير: القدرية يهود. وعن الشعبي: القدرية نصارى. وعن نافع مولى ابن عمر: القدرية يقتلون.

وحكى المازني عن الشافعي أنه كفرهم. وعن إبراهيم بن طهمان: القدرية كفار. وعن أحمد بن حنبل مثل قول مالك، وأبي ثور. اهـ

الشَّيْطَانِ».[1]

ويحتمل أيضًا أنه يعني هذه القدرية، الصنف الذي يرد عليه هو، لكن كلامه عام في أصناف القدرية، بما فيهم الذين نفوا خلق الله للشر، هذا القول منهم شرك في الربوبية؛ إذ أثبتوا خالقين اثنين: الله يخلق الخير، والعبد يخلق الشر.

ومن أدلة من كفرهم حديث ابن الديلمي عند أحمد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم،[2] وهو حديث صحيح.

ومن لم يكفر هذا الصنف الذين يقولون: إن الله قدر الخير ولم يقدر الشر؛ فَلِقُوَّةِ شبهتهم، ولما عندهم من التأويل، واعتبروهم ضُلَّالًا، وأن بدعتهم غير مكفرة، وعلى هذا لا ينكر على من كفرهم؛ لهذه الأدلة.

وفي «كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله جملة منها في باب

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب القدر من «صحيحه» [باب: (٨)ح: ٦٩٤٥].

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (ج ٥/ (ص١٨٢) ح: ٢١٦٢٩]: ثنا يحيى بن سعيد، ثنا سفيان، ثنا أبوسنان سعيد بن سنان، ثنا وهب بن خالد، عن ابن الديلمي، قال: لقيت أُبي بن كعب، فقلت: يا أبا المنذر، إنه قد وقع في نفسي شيءٌ من هذا القدر، فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي. قال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه؛ لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم؛ كانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو أنفقت جبل أُحد ذهبًا في سبيل الله عزوجل؛ ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك؛ لدخلت النار. قال: فأتيت حذيفة، فقال لي مثل ذلك، وأتيت بن مسعود، فقال لي مثل ذلك، وأتيت زيد بن ثابت، فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك.

خاص.[٣]

---

(٣) قال شيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله: [باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧]]، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء حبرٌ الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية».

وفي رواية لمسلم: «والجبال، والشجر على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الله».

وفي رواية للبخاري: «يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع». أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا: «يطوي اللهُ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

ورُوي عن ابن عباس قال: «ما السماوات السبع، والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم». وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس». قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض». وعن ابن مسعود، قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء

ومن لم يكفرهم فلعله لما ذكرنا، والظاهر فقولهم ذا كفر لكنهم ضلال؛ لما ذكرنا.

مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم». أخرجه أبو داود وغيره.اهـ

تنبيهٌ: ذكر الشمال في الحديث شاذٌّ، قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٥١): ذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافعٌ، وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبو هريرة ﷺ، وغيره عن النبي ﷺ، فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال.

ورُوي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرة؛ تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير، وبالآخر يزيد الرقاشي، وهما متروكان، وكيف يصح ذلك؟ وصح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتا يديه يمينًا، وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين.اهـ

والصحيح أن الحديث شاذ؛ فلا يحتاج إلى التأويل، والله أعلم.

قوله رحمه الله:

٥) سواءٌ نفوه أو سعوا ليخاصموا ... به اللهَ أو ماروا به للشريعةِ

٦) وأصلُ ضلالِ الخلقِ من كل فرقةٍ ... هو الخوض في فعل الإله بعِلَّةِ

قال حفظه الله تعالى: قوله رحمه الله: (وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض)، هذا الخوض يُطلق غالبًا على ما يقال بباطل، كما في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوٓاْ﴾[التوبة:٦٩].

قال الراغب رحمه الله في "المفردات": وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه.

ولما كانوا يخوضون بغير علم فيما كان من أمر الله معللا ضلوا؛ فإن الله سبحانه وتعالى له حكمة بالغة، وحجة دامغة، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦]، فهناك حِكَمٌ لا يعلمها العباد.

وما أحسن ما قاله الطحاوي رحمه الله حيث قال: وأصل القدر سرُّ الله تعالى في خلقه(٢)، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبيٌّ مرسل، والتعمق والنظر في

---

(٢) **فائدة:**

وروى ابن بطة في "الإبانة الكبرى" (١٥٦٨)، والآجري في "الشريعة" (٥٥٢): أنه أتى رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: أخبرني عن القدر؟ فقال: طريق مظلمٌ، فلا تسلكه. قال: أخبرني عن القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه. قال: أخبرني عن القدر؟ قال: سِرُّ الله فلا

ذلك ذريعة الخذلان، وسُلَّمُ الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا، وفكرًا ووسوسة؛ فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب؛ كان من الكافرين.اهـ

ولا شك أهل السنة على أن الأحكام تعليلية، وأن ما شرع وقدر له علة، لكن كثيرًا من العلل لا يعلمها الناس، لاشك أنهم عاجزون، كما يذكر أهل العلم.

ثبت عن علي ﷺ قَالَ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ؛ لَكَانَ الْمَسْحِ على باطن الْخُفِّ أَوْلَى مِنْ المسح على ظاهره، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ

تكلفه. قال: ثم ولى الرجل غير بعيد، ثم رجع، فقال لعلي: في المشيئة الأولى أقوم وأقعد، وأقبض وأبسط. فقال علي ﷺ: إني سائلك عن ثلاث خصال، فلن يجعل الله لك، ولا لمن ذكر المشيئة مخرجًا: أخبرني أخلقك الله لما شاء، أو لما شئت؟ قال: بل لما شاء. قال: أخبرني أفتجيء يوم القيامة كما شاء، أو كما شئت؟ قال: لا، بل كما شاء. قال: فأخبرني، أجعلك الله كما شاء، أو كما شئت؟ قال: لا، كما شاء. قال: فليس لك في المشيئة شيء. هذا سند ضعيف، شيخ أيوب مجهول، وعبدالملك بن هارون بن عنترة متروك، ويرويه عن أبيه.

قال الدارقطني كما في «لسان الميزان» (٢/ ١٣٣): هما ضعيفان. وقال أحمد: عبد الملك ضعيف. وقال يحيى: كذاب. وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث.

فهذه ثلاث علل، قال بضعفه الذهبي في «الميزان» عند ترجمة عبدالملك بن هارون.

خُفَّيْهِ.[1]

ومعناه: أن أفعال الله عزوجل لها علة قد يجهلها الناس، وهؤلاء لَـمَّا خاضوا فيما لا يعلمون؛ ضَلُّوا.

(١) روى الإمام أبو داود في سننه [كتاب الطهارة (باب: (٦٣) برقم: ١٦٢].

قولهُ رحمه الله:

٧) فـــإنهموا لم يفهمـــوا حكمـــةً لـــه فـصاروا عـلى نـوع مـن الجاهليـةِ

قال حفظه الله تعالى: لم يفهموا حكمة الله سبحانه وتعالى من خلق الخير والشر، فصاروا على نوع من الجاهلية.

ومن أفعال الجاهلية الذين اعترضوا بهذا على الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[الأنعام:١٤٨]، ولو أنهم وُفِّقُوا إلى مثل قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:٢]، وقول النبي ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنْتِ الْجَنَّةُ أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ: أَنْتِ النَّارُ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا».(٣)

فالله عزوجل خلق العباد لحكمة، وجعل أمره معللا، يُعلَم بعضه ولا يعلم آخر، حتى في المسائل الفقهية، لو سئل إنسان: لماذا كان أذن الحمار أكبر من أذن الجمل؟ ربما لا تجد عنده جوابًا في مسائل كثيرة، لماذا كان في أربعين شاة من الغنم شاة؟ كان الأنسب في ثمانين غنم شاتين، وما فيها شاتان، تبقى إلى مائة وعشرين وواحد ففيها شاتان بعد ذلك، تتجاوز النصاب بكامله، لماذا كانت الصلوات في اليوم خمس مرات فقط؟ لماذا كان الحج في العام مرة؟ لماذا لا يكون في العام مرات حتى لا يزدحم الناس؟ هذا أورده بعض الكفار لما حصل

---

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه» [باب: سورة ق] (٤٨٥٠)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

الزحام والقتل، فاعترضوا في بعض جرائدهم بهذا الاعتراض.

وأمثال هذه التعليلات التي هي من عند أنفسهم الأمارة بالسوء، وعقولهم الكاسدة."[4]

---

(٤) روى الخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" [١/ ص(٤٥٧) رقم: ٤٠٦] بسنده عن أبي الزناد، قال: إن السنن لا تخاصم، ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي والتفكير، ولو فعل الناس ذلك لم يمض يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين، ولكنه ينبغي للسنن أن تلزم، ويتمسك بها على ما وافق الرأي أو خالفه، ولعمري، إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرًا على خلاف الرأي، ومجانبته خلافًا بعيدًا، فما يجد المسلمون بُدًّا من اتباعها، والانقياد لها، ولمثل ذلك ورع أهل العلم والدين، فكفهم عن الرأي، ودلهم على غوره وغورته، إنه يأتي الحق على خلافه في وجوه غير واحدة، من ذلك: أن قطع أصابع اليد مثل قطع اليد من المنكب، أي ذلك أصيب ففيه ستة ألف. ومن ذلك: أن قطع الرجل في قلة ضررها مثل قطع الرجل من الورك، أي ذلك أصيب ففيه ستة ألف. ومن ذلك: أن في العينين إذا فقئتا مثل ما في قطع أشراف الأذنين في قلة ضررهما، أي ذلك أصيب ففيه اثنا عشر ألفا. ومن ذلك: أن في شجتين موضحتين صغيرتين مائة دينار، وما بينهما صحيح؛ فإن جرح ما بينهما حتى تقام إحداهما إلى الأخرى، كان أعظم للجرح بكثير، ولم يكن فيها حينئذ إلا خمسون دينارًا. ومن ذلك أن المرأة الحائض تقضي الصيام، ولا تقضي الصلاة. ومن ذلك رجلان قطعت أذنا أحدهما جميعًا، يكون له اثنا عشر ألفًا، وقتل الآخر فذهبت أذناه وعيناه ويداه ورجلاه، وذهبت نفسه ليس له إلا اثنا عشر ألفًا. مثل الذي لم يصب إلا أشراف أذنيه في أشباه هذا غير واحدة، فهل وجد المسلمون بُدًّا من لزوم هذا؟ وأي هذه الوجوه يستقيم على الرأي، أو يخرج في التفكير؟ ولكن السنن من الإسلام، بحيث جعلها الله هي ملاك الدين وقيامه الذي بني عليه الإسلام، وأي قول أجسم وأعظم خطرًا مما قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع حين خطب الناس، فقال: **«وقد تركت فيكم أيها الناس، ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبدًا»** أمرًا بَينًا: كتاب الله، وسنة نبيه، فقرن رسول الله ﷺ بينهما، وايم الله، إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة، ونتعلمها شبيهًا بتعليمنا آي القرآن، وما برح من أدركنا من أهل الفضل والفقه من خيار الناس يعيبون أهل

الجدل، والتنقيب، والأخذ بالرأي أشد العيب، وينهوننا عن لقائهم ومجالستهم، ويحذروننا مقاربتهم أشد التحذير، ويخبروننا أنهم أهل ضلال وتحريف، بتأويل كتاب الله، وسنن رسول الله ﷺ، وما توفي رسول الله ﷺ، حتى كره المسائل، وناحية التنقيب، والبحث عن الأمور، وزجر عن ذلك، وحذره المسلمين في غير موطن، حتى كان من قوله ﷺ كراهية ذلك أن قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك الذين من قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء به فأتوا منه ما استطعتم»، فأي أمرٍ أكف لمن يعقل عن التنقيب من هذا؟ ولم يبلغ الناس يوم قيل لهم هذا القول من الكشف عن الأمور جزءًا من مائة جزء مما بلغوا اليوم، وهل هلك أهل الأهواء، وخالفوا الحق إلا بأخذهم بالجدل، والتفكير في دينهم، فهم كل يوم على دين ضلال، وشبهة جديدة، لا يقيمون على دين، وإن أعجبهم إلا نقلهم الجدل والتفكير إلى دين سواه، ولو لزموا السنن، وأمر المسلمين، وتركوا الجدل؛ لقطعوا عنهم الشك، وأخذوا بالأمر الذي حضهم عليه رسول الله ﷺ، ورضيه لهم، ولكنهم تكلفوا ما قد كفوا مؤنته، وحملوا على عقولهم من النظر في أمر الله ما قصرت عنه عقولهم، وحق لها أن تقصر عنه وتحسر دونه، فهنالك تورطوا، وأين ما أعطى الله العباد من العلم في قلته وزهادته مما تناولوا، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥]، وقد قص الله تعالى ما أخبر، أو غير هذه الكلمة به موسى عليه السلام، من أمر الرجل الذي لقيه، فقال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف:٦٥]، فكان منه في خرقه السفينة، وقتله الغلام، وبنائه الجدار، ما قد قال الله تعالى في كتابه ، فأنكر موسى ذلك عليه، وجاء ذلك في ظاهر الأمر منكرًا لا تعرفه القلوب، ولا يهتدي له التفكير، حتى كشف الله ذلك لموسى فعرفه، وكذلك ما جاء من سنن الإسلام وشرائع الدين التي لا توافق الرأي، ولا تهتدي لها العقول، ولو كشف للناس عن أصولها؛ لجاءت للناس واضحة بينة غير مشكلة، على مثل ما جاء عليه أمر السفينة، وأمر الغلام، وأمر الجدار؛ فإن ما جاء به محمد ﷺ كالذي جاء به موسى، يعتبر بعضه ببعض، ويشبه بعضه بعضا، ومن أجهل وأضل وأقل معرفة بحق الله، وحق رسوله، وبنور الإسلام وبرهانه ممن قال: (لا أقبل سنةً، ولا أمرًا مضى من أمر المسلمين حتى يكشف لي غيبه وأعرف أصوله)، أو لم يقل ذلك بلسانه ، فكان عليه رأيه وفعله، ويقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

قوله رحمه الله:

٨) فـإن جميـعَ الكـونِ أوجـب فِعْلَـه مشيئةُ ربِّ الخلـق بـاري الخليقـةِ(١)

قال حفظه الله تعالى: الدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان:٣٨، ٣٩].

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:٣٦-٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

كل هذه الآيات تدل على أن الله خلق الخلق من خير وشر بمشيئة الله عزوجل.

وهذا الأثر بمجموع طرقه لا بأس أن يحسن بها، وهو عند البخاري قطعة منه معلقة.

(١) في [و]: رب العرش باري البرية.

قوله رحمه الله:

٩) وذات إلـــه الخلـــق واجبـــة بـــما لهـا مـن صـفات واجبـات قديمـةِ

قال حفظه الله تعالى: أي إن الله خالق، وما سواه مخلوق، وصفات الله عزوجل قديمة، ولا يقال إنها أحدثت له بعد حدوث الخلق.

قال الطحاوي رحمه الله: مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلِقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

وقال، لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي.اهـ

قوله رحمه الله:

١٠) مشيئتُه مَعْ عِلْمِه ثم قدرة لوازم ذات الله قاضي القضيةِ

قال حفظه الله تعالى: مشيئة الله ثابتة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، والمراد بالمشيئة: القدر الكوني، وهو علم الله؛ لهذا قال: (مع علمه).

وذكر بعض أهل العلم أن المشيئة تنقسم إلى: كونية وشرعية[١]، وهو متعقب، قال الشافعي رحمه الله:

ما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن[٢]

---

(١) يشير حفظه الله تعالى إلى ما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" [سورة النحل:٣٥]، حيث قال: فمشيئته تعالى الشرعية منتفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله، وأما مشيئته الكونية، وهي تمكينهم من ذلك قدرًا، فلا حجة لهم فيها؛ لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضى لعباده الكفر، وله في ذلك حجة بالغة، وحكمة قاطعة.اهـ

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" (١٠/ ٢٧٧): وقال ابن خزيمة: أنشدني المزني وقال أنشدنا الشافعي لنفسه قوله:

ما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت ففي العلم يجري الفتى والمسن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن

على ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن

وكذا علمه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

والقدرة كذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

وإثبات الذات بالسنة، قال خبيب رضي الله عنه:

وَذَٰلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَٰهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[1]

وثبت في الحديث أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال: «كذبت في ذات الله ثلاث كذبات»، أي: هي في الحقيقة أتَّقِي بها شرَّ أولئك الناس، وإلا فليست كذبًا.

إنما الشاهد في هذا على إثبات الذات لله سبحانه، على ما يرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أنَّ ذات الله عزوجل هي المتصفة بصفاته العُلَى.

وقولهُ: قاضي القضية.

الله أحكم الحاكمين، ورب العالمين، وقد كره بعضهم أن يُسمَّى بعضهم

والأبيات رواها كذالك اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٣٧٩) (١٠٥٥).

(١) رواه الإمام البخارى في كتاب التوحيد من «صحيحه» [باب: ١٤](٧٤٠٢).

قاضي القضاة."(٢)

قالوا: هذا لا يليق؛ لأنه في رتبة أحكم الحاكمين؛ فهذا هو معناه: أن الله هو الحكم وإليه الحكم، ولكن إذا كان بقيد قاضي قضاة قطر كذا ونحوه فيما لا إطلاق فيه؛ فجائز، فالله عزوجل له الملك الكامل، والأمر الكامل، والحكم الكامل ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود:٤٥].

---

(٢) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في "كتاب التوحيد": [باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه]، وفي "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع اسم عند الله، رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله». قال سفيان: مثل شاهانِ شاه. وفي رواية: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه». قوله: «أخنع» يعني: أوضع. فيه مسائل: الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك. الثانية: أن ما في معناه مثله كما قال سفيان. الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه. الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله تعالى سبحانه.

قوله رحمه الله:

١١) وإبداعُه ما شاء من مُبدَعاته ... بها حِكْمَةٌ فيه وأنواعُ رحمةِ

قال حفظه الله: قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۞ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۞ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۞ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٣-١٦].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۞ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [العنكبوت:١٩، ٢٠].

ومبدعاته بها أنواع من الرحمة بالمخلوقين، فالحيوانات وجميع ما في الأرض كلها خلقها الله لبني آدم متاعًا لهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾[البقرة:٢٩].

وهذه الآية مقيدة بقول الله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾[الأعراف:٣٢].

وبقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ﴾[الأنعام:١١٩].

فوجود هذه المخلوقات رحمة من الله عزوجل بعباده، وهذه هي الحكمة من وجودها عُمران هذا الكون.

قولهُ رحمه الله:

١٢) ولسنا وإن قلنا جَرَتْ بمشيئة[1] ... من المنكري آياتِه المستقيمةِ

١٣) بل الحقُّ أن الحكمَ لله وحده ... له الخلقُ والأمرُ الذي في الشريعةِ

قال حفظه الله تعالى: معناه أننا لسنا إذا قلنا جرت بمشيئة على أننا ننكر الآيات التي فيها الحكمة والتعليل، بل مشيئته بحكمةٍ؛ فلا خالق سواه، ولا حاكم سواه، له الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

---

(١) في [أ]: لمشيئة.

قوله رحمه الله:

١٤) هـو المَلِـكُ المحمـودُ في كـلِّ حالـةٍ لـه المُلْـكُ مـن غـير انتقـاص بِـشِركةِ

قال حفظه الله تعالى: أي له الملك كله، والأمر كله، والحمكة البالغة، ولا يشركه في ملكه، ولا في حكمه أحدٌ.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[الكهف:٢٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[الإسراء:٥٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[سبأ:٢٢].

فهو المحمود في كل حال، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[النحل:٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[النحل:١٨].

وصح عند أبي داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ كان يقول إذا أخذ مضجعه: «**الحمد لله الذي كفاني، وآواني، وأطعمني، وسقاني، والذي مَنَّ عليَّ فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمد لله على كل حال**».

وإذا قال الإنسان: (إن هذا قدَّره الله، وإن هذا بمشيئة الله، وبإرادة الله)؛

فهذا لا يعني أن العبد مجبور على ذلك.

قوله رحمه الله:

١٥) فما شاء مولانا الإلهُ فإنه يكون وما لا لا يكون بحيلةِ

قال حفظه الله تعالى: المقصود بها أن المشيئة ترادف القدر الكوني، وليس للعبد في القدر الكوني حيلة، إنما هو مأمور بامتثال طاعة الله، واجتناب معصيته، وهذا الأخير فيما يتعلق بالقدر الشرعي.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

وقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[الزمر:٧].

قوله رحمه الله:

١٦) وقدرتُـه لا نقـص فيهـا وحكمـه(١) يَعُـمُّ فـلا تخـصيصَ في ذي القضـيةِ

١٧) أُرِيـدُ بـذا أن الحـوادثَ كلَّهـا بقدرتـه كانـت ومحـض المشيئةِ

قال حفظه الله تعالى: الحوادث هي المخلوقات كلها بقدرته، أوجدها من العدم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر:٦٢].

وما كان شيء من خيرٍ، أو شرٍّ فهو بتقدير الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان:٢].

وفي "الصحيح": «إن الله خلق كل صانع وصنعته».

---

(١) في [أ]: وخلقه.

قوله رحمه الله:

١٨) ومالكُنا في كلِّ ما قد أراده ... له الحمدُ حمداً يعتلي كلَّ مِدحةِ

قال حفظه الله: قوله: (ومالكنا).

أدلة ذلك كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤].

وقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر:٢٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤، ٥٥].

المالك، والمليك، والملك، كل هذه الأسماء ثابتة لله سبحانه، وكل ما قد أراده فينا نحمده عليه عزوجل؛ لأنه لا يريد بنا إلا اليسر، ولأنه بَيَّن لنا طريقَ الخير، وطريق الشر، ولأنه أوجدنا من العدم؛ فالفضل كله والمنة له وحده، لا شريك له، قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

قوله رحمه الله:

١٩) فإن له في الخلق من نعم[١] سرت ... ومن حكم فوق العقول الحكيمةِ[٢]

٢٠) أمورًا بحار العقل فيها إذا رأى ... من الحكم العليا وكل عجيبةِ

٢١) فنؤمنُ أن الله عزَّ بقدرةٍ ... وخلقٍ وإبرامٍ لحكم المشيئةِ

٢٢) فنثبت هذا كلَّه لإلهنا ... ونثبت ما في ذاك من كل حكمةِ

٢٣) وهذا مقام طالما عجز الأُلى ... نفوه[٣] وكروا راجعين بحيرةِ

قال حفظه الله: يعني مقام القدر عجزَ فيه عبادُه، وكروا راجعين، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ * ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ * ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ * ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك:١-٤].

---

(١) في "مجموع الفتاوى" و"الدرة": رحمته سرت، والمثبت في الأعلى من: [أ].

(٢) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[فاطر:٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦].

(٣) في [أ]: بغوه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٤) وتحقيقُ ما فيه بتبيين غوره ... وتحرير حقِّ الحق في ذي الحقيقة

٢٥) هو المطلب الأقصى لِوُرَّاد(١) بحره ... وذا عسِرٌ في نظم هذي القصيدةِ

٢٦) لحاجته تبيينَ علمٍ مُحقَّقٍ ... لأوصاف مولانا الإلهِ الكريمةِ(٢)

٢٧) وأسمائه الحسنى وأحكام دينه ... وأفعاله في كل هذي(٣) الخليقة

٢٨) وهذا بحمد الله قد بان ظاهرًا ... وإلهامُه للخلق أفضلُ نعمة

يشير شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى عمق هذه المسألة، وسعة الكلام عليها، وقد جُمع كلامه فيها ضمن "مجموع الفتاوى"، فصار في مجلد كبير، و"منهاج السنة النبوية" كله ردٌّ على الرافضة، والقدرية.

ولابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب "شفاء العليل" في مجلد.

وحاصل ذلك طاعة الله، وامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، هذا أحسن ما يسلكه العبد، ومن ألهمه الله عزوجل لذلك؛ فقد أكرمه بأفضل نعمه،(٤) قال تعالى:

(١) في "الدرة البهية": لروَّاد بحره، والورَّاد أولى.

(٢) في "مجموع الفتاوى": لحاجته إلى بيان محقق.

(٣) في [أ]: هذا.

(٤) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "اجتماع الجيوش الإسلامية" (١/ ٣): النعمة نعمتان: نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة، فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي التي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها، ومن خصهم بها، وجعلهم أهل الرفيق الأعلى، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩]، فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها أيضًا هم المعنيون بقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، فأضاف الدين

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

إليهم؛ إذ هم المختصون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم، والدين تارة يضاف إلى العبد، وتارة يضاف إلى الرب، فيقال: الإسلام دين الله الذي لا يقبل من أحد دينا سواه؛ ولهذا يقال في الدعاء: اللهم انصر دينك الذي أنزلت من السماء، ونسب الكمال إلى الدين، والتمام إلى النعمة مع إضافتها إليه؛ لأنه هو وليها ومسديها إليهم، وهم محل محض النعمة، قابلين لها؛ ولهذا يقال في الدعاء المأثور للمسلمين: واجعلهم مثنين بها عليك قابليها، وأتممها عليهم. وأما الدين فلما كانوا هم القائمين به، الفاعلين له بتوفيق ربهم؛ نسبه إليهم، فقال: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وكان الإكمال في جانب الدين، والتمام في جانب النعمة، واللفظتان وإن تقاربتا وتواخيتا فبينهما فرق لطيف يظهر عند التأمل؛ فإن الكمال أخص بالصفات والمعاني، ويطلق على الأعيان والذوات، ولكن باعتبار صفاتها وخواصها، كما قال النبي ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد»، وقال عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان حدودًا، وفرائضَ، وسننًا، وشرائعَ، فمن استملكها؛ فقد استكمل الإيمان.

وأما التمام فيكون في الأعيان والمعاني، ونعمة الله أعيان وأوصاف ومعان، وأما دينه فهو شرعه المتضمن لأمره، ونهيه، ومحابه؛ فكانت نسبة الكمال إلى الدين، والتمام إلى النعمة أحسن، كما كانت إضافة الدين إليهم، والنعمة إليه أحسن، والمقصود أن هذه النعمة هي النعمة المطلقة، وهي التي اختصت بالمؤمنين، وإذا قيل: ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار؛ فهو صحيح.

والنعمة الثانية: النعمة المقيدة، كنعمة الصحة والغنى، وعافية الجسد، وتبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال هذه، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وإذا قيل: لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار؛ فهو حق، فلا يصح إطلاق السلب والإيجاب إلا على وجه واحد وهو أن النعمة المقيدة لما كانت استدراجًا للكافر، ومآلها إلى العذاب والشقاء؛ فكأنها لم تكن نعمة، وإنما كانت بلية، كما سماها الله تعالى في كتابه كذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا﴾[الفجر:١٦-١٧]، أي: ليس كل من أكرمته في الدنيا ونعمته فيها فقد أنعمت عليه، وإنما كان ذلك ابتلاء مني له، واختبارًا، ولا كل من قدرت عليه رزقه فجعلته بقدر حاجته من غير فضيلة أكون قد أهنته، بل أبتلي عبدي بالنعم كما أبتليه بالمصائب.اهـ

قوله رحمه الله:

٢٩) وقـد قيـل في هـذا وخُـطَّ(١) كتابُـه   بيـانٌ(٢) شـفاءٌ للنفـوس المريـضةِ(٣)

قال شيخنا حفظه الله تعالى: الذي في الكتاب الأمر بطاعة الله، والحذر من معصيته، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤].

ففي هذا شفاء للنفوس المريضة.

الذي في الكتاب الإيمان بأقداره، والذي في الكتاب الاستسلام، والانقياد لشرعه،(٣) كل ما ذكره الله عز وجل في كتابه فيه بيان شفاء للنفوس السقيمة،

---

(١) في [أ]: وخُصَّ.

(٢) في «الدرة البهية»: بان بدل: بيان.

(٣) في [أ]: السقيمة.

(٣) قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٣/ ٤٥٠): إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري؛ وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي؛ وإما أمرٌ، ونهيٌ، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته؛ وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده؛ وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله: في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله، وجزائهم.اهـ

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢]؛ فهذه هي عبادة الله عزوجل.

قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان[٤]

الذي في الكتاب: عدم الركون إلى شيء لا يعلمه الإنسان، وهو يزعم أنه قد قدر عليه، فلماذا لا يحسن الظن بربه،[٥] ويعتقد أن الله عزوجل يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، ويعمل الصالح، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠].

---

(٤) قاله ابن القيم رحمه الله في "نونيته" (١/ ٢٩).

(٥) روى البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد من "صحيحه" [باب: (٣٥) (٧٥٠٥)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».

قولهُ رحمه الله:

٣٠) فقولك لِمْ قد شاء مثل سؤالِ مَنْ ... يقول فَلِمْ قد كان في الأزليةِ

٣١) وذاك سؤال يبطل العقلُ وَجْهَهُ ... وتحريمُه قد جاء في كل شرعةِ

قال حفظه الله: يعني السؤال: لماذا قدر علي كذا ويعذبني؟[٢] هذا محرمٌ في كل شرعة، ويبطل الشرع وجهه.

الاعتراض على أقدار الله شأن الكفرة، سواء على أحكامه، أو على أقداره،

---

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "الفتاوى" (٨/ ٤٥٤): فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[٥٥:غافر]، والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب.

والله سبحانه وتعالى سَمَّى المسلمَ مسلمًا؛ لانقياده.[٣]

---

(٣) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ لله بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.اهـ

وبعضهم زاد في التعريف بقولهم: والبراءة من الشرك، والبدعة، والمعصية وأهلها.

فهذه الزيادة -والله أعلم- خلاف الصواب، أولًا: زيادة (والبدعة)؛ فإن البدعة تنقسم إلى مكفرة ومفسقة، فإذا كانت البدعة مفسقة؛ فصاحبها لا يزال مسلمًا؛ لأنها لا تخرج عن الملة، فإدخالها في التعريف تعميمًا.

وأما زيادة: (والمعصية)، فالمعصية منها ما هي صغيرة، ومنها ما هي كبيرة، والكبيرة منها ما هو أكبر الكبائر، ومنها ما كان دونها، وأكبر الكبائر هو الشرك، فإذا أشرك المسلم بالله، ومات ولم يتب من ذلك الشرك؛ فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء/٤٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء/١١٦].

وأما إذا فعل الموحدُ معصيةً دون الشرك، ومات ولم يتب منها؛ فهو تحت مشيئة الله سبحانه، كما هو في الآية، ولا يخرج من الإسلام بتلك المعصية التي هي دون الشرك، ومع ذلك من فعل أي ذنب، كبيرة أو صغيرة، شركًا أو دونه، إن استغفر وتاب توبة نصوحًا؛ فإن الله غفور رحيم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر/٥٣].

ثانيًا: أنَّ ما ذكر في أول التعريف يغنينا عن هذه الزيادة؛ فإن قوله (الاسْتِسْلامُ لله بِالتَّوْحِيدِ) أخرج بهذا القيد الاستسلام بالشرك، وقوله (وَالانْقِيَادُ لَهُ بالطاعة) أخرج بهذا القيد الانقياد له بالمعصية.

ثالثًا: هذه الزيادة تؤدي إلى فكرة الخوارج، والله أعلم.

قولهُ رحمه الله:

٣٢) وفي الكـون تخـصيصٌ كثـيرٌ يـدلُّ مـن ... لـــه نـــوعُ عقـــلٍ أنـــه بـــإرادةِ

٣٣) وإصـــدارُه عـــن واحـــد بعـــد واحـــد ... أو[1] القـــولُ بـــالتجويز رميـــةُ حـــيرةِ

قال حفظه الله تعالى: يعني الكون يحصل ما كان بتقدير الله، وبإرادته؛ فإن كان شرًّا؛ فهو بإرادة الله الكونية، وبقدره الكوني، وإن كان خيرًا؛ شمل ذلك لإرادته الشرعية.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

فالله يريد بعباده الخير واليسر، وأما مايحصل في الكون من أمور يفعلها العباد؛ فذلك ليس مجبور عليه العباد، وأيضًا ليس المعنى أن الله ما أراده كونًا، بل علمه، أي: الإرادة الكونية هي التي علمها الله.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥]، علم الله من فلان كذا وكذا؛ فصيره إلى ما هو عليه سائر.

---

(١) في [و]: أرى.

وقوله رحمه الله:

٣٤) ولا ريبَ في تعليق كلِّ مُسَبَّبٍ   بما قبله من[1] علة مُوجِبيَّةِ

٣٥) بل الشأنُ في الأسبابِ أسبابِ ما ترى   وإصدارها[2] عن حكم محض المشيئة

قال حفظه الله: الأسباب بمسببها، الشأن فى الأسباب، أسباب الخير معلومة، وأسباب الشر معلومة، فالأمور بمسببها، فلا يجوز للإنسان أن يهمل السبب، لابد من بذل السبب، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف:٧٢]، أي: بسبب عملكم.[3]

---

(١) في [و]: في.

(٢) في [ط] و [أ]: وإصداره، وفي [عقود] و [ب] و[هـ]: ومصدرها.

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله: وكذلك الجنة خلقها الله لأهل الإيمان به وطاعته، فمن قدر أن يكون منهم؛ يسره للإيمان والطاعة، فمن قال: أنا أدخل الجنة، سواء كنت مؤمنًا، أو كافرًا، إذا علم أني من أهلها. كان مفتريًا على الله في ذلك؛ فإن الله إنما علم أنه يدخلها بالإيمان، فإذا لم يكن معه إيمان؛ لم يكن هذا هو الذي علم الله أنه يدخل الجنة، بل من لم يكن مؤمنًا، بل كافرًا؛ فإن الله يعلم أنه من أهل النار، لا من أهل الجنة؛ ولهذا أمر الناس بالدعاء، و الاستعانة بالله، وغير ذلك من الأسباب.

ومن قال: أنا لا أدعو، ولا أسأل؛ اتكالًا على القدر. كان مخطئًا أيضًا؛ لأن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التي ينال بها مغفرته، ورحمته، وهداه، ونصره، ورزقه، وإذا قدر للعبد خيرًا يناله بالدعاء؛ لم يحصل بدون الدعاء، وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم، فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت، فليس فى الدنيا والآخرة شيء، إلا بسبب.

والله خالق الأسباب والمسببات؛ ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شركٌ فى التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص فى العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية

قوله رحمه الله:

٣٦) وقولك: لِمْ شاء الإلهُ هو الذي أزلَّ[١]عقول الخلق في قَعْرِ حُفْرةِ

٣٧) فإن المجوسَ القائلين بخالق لنفع وربٌّ مُبدعٍ للمَضرةِ

قال حفظه الله تعالى: شيخ الإسلام في هذه الفقرة يرد على النفاة من القدرية الذين شابهوا المجوس، الذين يقولون: (الله خلق الخير، والإنسان يخلق الشر)، وثبت الحديث بمجموع طرقه عند ابن أبي عاصم وغيره: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا؛ فلا تعودوهم، وإن ماتوا؛ فلا تتبعوهم**».[٢]

والشاهد منه أن القدرية شابهوا المجوس بادعاء إلهين اثنين، المجوس قالوا

قدح في الشرع.

ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب؛ فإن المطر إذا نزل وبذر الحب، لم يكن ذلك كافيًا في حصول النبات، بل لابد من ريح مربية بإذن الله، ولابد من صرف الانتفاء عنه، فلابد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره. وكذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء في الفرج، بل كم من أنزل ولم يولد له، بل لابد من أن الله شاء خلقه، فتحبل المرأة، وتربيه في الرحم، وسائر ما يتم به خلقه من الشروط وزوال الموانع، وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب.اهـ كما في «الفتاوى» (٨/ ٦٩).

(١) في [أ]: أضل.

(٢) قال صاحب «عون المعبود» (١٠/ ٢١٢): ذَكَرَ الشَّيْخ اِبْن الْقَيِّم رحمه الله: حَدِيث «**لِكُلِّ أُمَّة مَجُوس، وَمَجُوس هَذِهِ الْأُمَّة الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَر**».

ثُمَّ قَالَ: هَذَا الْمَعْنَى قَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيّ ﷺ مِنْ حَدِيث اِبْن عُمَر، وَحُذَيْفَة، وَابْن عَبَّاس، وَجَابِر بْن عَبْد الله، وَأَبِي هُرَيْرَة، وَعَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاصِ، وَرَافِع بْن خَدِيج.

بإلهين اثنين: الظلمة والنور، النور يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر. والقدرية يقولون بخالقين اثنين، الله يخلق الخير، والإنسان يخلق الشر؛ فهذا وجه المشابهة بين القدرية النفاة الذين نفوا أن الله قدر الشر، لا الذين نفوا علم الله للأمور إلا بعد تحققها.

وقد يقول القائل: تشبيههم بالمجوس يدل على كفرهم؟

فيقال: بعض أهل العلم كفرهم كما في "السنة" لعبد الله بن أحمد، وغيره، والظاهر أنهم مبتدعة، ضُلَّال؛ لقوة الشبهة والتأويل عندهم.

قوله رحمه الله:

٣٨) سؤالُهم عن علة السرِّ(١) أوقعت   أوائلَهم(٢) في شبهة الثَّنويةِ(٣)

قال حفظه الله تعالى: الثنوية هم الذين اتخذوا إلهين اثنين من المجوس؛ باعتبار أن النور والظلمة إلهين اثنين.(٤)

---

(١) في [ط] و [عقود] و [هـ]: الشَّر.

(٢) في [ط] و [عقود] و [ب] و[ج]: رؤوسهم.

(٣) في [عقود] و [ب] و [ج]: المثنوية، وفي [و]: وثنية.

(٤) قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في «الفتاوى» (٣/ ٩٧): الثنوية الذين يقولون بالأصلين: النور والظلمة، وأن النور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر، ثم ذكروا لهم فى الظلمة قولين: أحدهما: أنها محدثة؛ فتكون من جملة المخلوقات له. والثاني: أنها قديمة، لكنها لم تفعل إلا الشر؛ فكانت ناقصة فى ذاتها، وصفاتها، ومفعولاتها عن النور.

وقولهُ رَحِمَهُ اللهُ:

٣٩) وأن ملاحيـــدَ الفلاســـفةِ الأُلى يقولـون بالفعـل(١) القـديمِ بعلـةِ(٢)

٤٠) بغـوا علـة في الكـون(٣) بعـد انعدامـه فلـم يجـدوا ذاكـم فـضلوا بـضلةِ

قال شيخنا حفظه الله: الفلاسفة هم الذين هلكوا بالتماس العلل المحسوسات، وأنهم لا يؤمنون إلا بالمحسوسات؛ فلهذا لم يؤمنوا بالله عزوجل، وتجدهم جاحدين لوجود الله سبحانه وتعالى؛ إذ لم يكن لهم سبيل إلى أن يحسوا، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا عَظِيمًا!

---

(١) في [أ]: بالعقل.

(٢) في [ط] و [أ] و[ب] و [و]: لعلة.

(٣) في [أ] و [ب] و [هـ] و [و]: للكون.

قوله رحمه الله:

٤١) وإن مبادي الشر في كل أمة ذوي[١] ملة ميمونة نبوية

قال حفظه الله تعالى: قوله: (في كل أمة ذوي ملة ميمونة نبوية) هذا ثناء من شيخ الإسلام على سائر الملل، وأن جميع الأنبياء أتوا قومهم بالبينات والهدى.

وما من نبي إلا ومعه ما يدعو به قومَه إلى الهدى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، فكل رسول معه كتاب من الله عزوجل، وكل نبي معه وحي وهدى من الله عزوجل، ولم تسلم كل أمة من مبادئ الشر.

---

(١) في [أ]: أمة، وفي [ج]:

وفي [هـ]:

قوله رحمه الله:

٤٢) بخوضهموا في ذاكُمُ صار شركهم   وجاء دروس البينات بفترةِ(١)

قال حفظه الله: يعني ما بين فترة وأخرى، قال تعالى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[المائدة:١٩] كما ذكر الله.

وكلما اندرس أمرٌ، أتى الله سبحانه الأُمَّةَ بمن يجدد أمر دينها من الأنبياء، وكان النبي ﷺ خاتم الأنبياء.

فالملل الماضية ليست باطلة، في أزمنتها هي حقٌّ، وإنما بعد بعثة رسول الله ﷺ صارت منسوخة، باطلة، غير مقبول من أحد أن يتعبد لله عزوجل بغير دين الإسلام، قال الله عزوجل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة:٤٨].

---

(١) في "الدرة البهية": وجاء رؤوس البينات بفترة. وكذا في [ج]، و[د].

قوله رحمه الله:

٤٣) ويكفيك نقضاً أن ما قد سألتَهُ　　من العذر[1] مردودٌ لدى كل فطرةِ

قال حفظه الله تعالى: أي الفطر السليمة ترد على هذا الاعتراض على أقدار الله؛ فإن هذا نقض لما ادعاه، وأن فِطَرَ المسلمين وأصحاب الفطر السليمة ترده، ولو لم يرد عليه بأكثر من ذلك.

فالعباد مفطورون على محبة الخير، وحمد من يعمله، وبغض الشر وذم من يعمله، وليس كما يدعيه هذا القدري أن الخير والشر سواء؛ لأنَّ الكل مجبور عليه فاعله، ولا اختيار له فيه.

وهذا مما يدل على أنَّ نقض شبهات أهل الأهواء أمرٌ مطلوب؛ فلو تركت الشبهات ربما زعزعت الأمة، ويحصل في قلوب الناس من ذلك بعض المرض.

فالتصدي للشبهات، والتصدي لما التبس على الناس هذا شأن الصالحين، شأن المؤمنين، شأن أهل العلم الناقدين البصيرين، قال الله عزوجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤].

---

(١) في [ج]: من الهذر.

قوله رحمه الله:

٤٤) فأنت تعيب الطاعنين[1] جميعهم عليك وترميهم بكل مذمةِ

قال وفقه الله تعالى: يعني أنت تعيب الطاعنين عليك كلهم، وترميهم بكل مذمة من أصحاب الملة الأولى، فأنت أيها اليهودي قد تناقضت مع قومك ومع غيرهم، كل أصحاب الفطر ما يوافقون على الذي تقوله.

---

(١) في [هـ]: الطائعين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٥) وتَنْحــل مـــن والاك صَـــفْوَ مـــودةٍ وتــبغض مــن نــاواك[1] مــن كـل فرقـة

٤٦) وحـــالهم في كـــل قـــول وفعلـــة كحالـــك يـــا هـــذا بـــأرجح حجـــة

٤٧) وهَبْك كففتَ اللومَ عـن كـل كـافرٍ وكـــلِّ غـــويٍّ خـــارجٍ عـــن محجـــة

٤٨) فيلزمـك الإعــراضُ عــن كـل ظـالمٍ على[2] النـاس في[3] نفـس ومـالٍ وحرمـة

قال حفظه الله: يعني الظلم، والبغي، والعدوان، وغير ذلك من الأضرار التي تحصل عليك، أنت ما تقره في نفسك، وإذا كنت لا تقره في نفسك ولا في غيرك؛ فإن هذا أيضًا من مقدور الله الكوني.

وعلى هذا يلزمك أنك إما أن تقره في نفسك، وترضى به، ولا تدفعه؛ لأن الذي بغى عليك لا يُلام حيث وهو مجبور على حد قولك.

وإما أنك تقول ما يقول أهل الحق من الإقرار بأنك مختار غير مجبور على فعل طاعة ولا معصية.

---

(١) في "الدرة البهية": من ناداك، وفي [ب] و[ج]: عاداك.

(٢) في [و]: من.

(٣) في [ج] و[و]: من.

قوله ﵀:

٤٩) فلا تغضبن[١] يومًا على سافك دمًا ... ولا سارقٍ مالاً لصاحب فاقة

٥٠) ولا شاتمٍ عِرْضًا مصونًا وإن علا ... ولا ناكح فرجاً على وجه غية[٢]

قال حفظه الله تعالى: شيخ الإسلام يُلْزِم هذا الذمي في هذه الفقرات أنه إذا كان يرى أنه مجبورٌ؛ فلا يغضب من هذه المنكرات، سواء زنى، أو سرق، أو فعل هذه الأفاعيل الإجرامية، وما من شك أنه في كل ملة ينتقدون هذه الأفاعيل، حتى اليهود!

---

(١) في "مجموع الفتاوى"، و[عقود] و [و]: ولا تغضبن.

(٢) في [ج]: متعة، وفي [و]: زنيةٍ.

قولهُ رحمه الله:

٥١) ولا قـاطع للنـاس نهـجَ سـبيلِهم — ولا مفسـد في الأرض مـن كـل وجهـة

٥٢) ولا شـاهدٍ بـالزور إفكـا وفريـةً — ولا قـاذف للمحـصنات بزنيـة(١)

٥٣) ولا مهلـك للحـرث والنسـل عامـدًا — ولا حـاكمٍ للعـالمين برشـوةِ

٥٤) وكُـفَّ لـسان اللـوم عـن كـل مفسـدٍ — ولا تأخـذنْ ذا جرمـةٍ(٢) بعقوبـةِ

٥٥) وسـهِّل سـبيل الكـاذبين تعَمُّـدًا — عـلى ربهـم مِـنْ كـلِّ جـاءٍ(٣) بفريـةِ

٥٦) وإن قصدوا إضـلال مـن يـستجيبهم(٤) — بـروم فـسادِ النـوع ثـم الرياسـةِ

٥٧) وجادل عن الملعـونِ فرعـونَ إذ طغـى — فـأُغْرِق(٥) في الـيم انتقامـاً بغـضبةِ(٦)

قال حفظه الله تعالى: يعني إذا كنت ترى أنه مجبور؛ جادلْ عن الملعون فرعون؛ فأنه عبارة عن مجبور، فإذا كان مجبورًا ما ذنبه على حَدِّ قولك أن فرعون نفسه لا يلام، وسائر الكفرة ما يلامون، إذا كانوا مجبورين.

والجنة والنار وجودهما عبث، الجنة يدخل فيها بغير حق، والنار يدخل فيها بغير حق، على حَدِّ قول الجبرية؛ إذ أن المجبور كالمكتف، كما يقال:

---

(١) في [عقود] و[و]: بريبة.

(٢) في [ط] و [أ] و [ب] و [هـ]: خربة، وفي [ج]: خزية.

(٣) في [ج]: من كل من جا بفرية.

(٤) في [ج]: تستحبهم.

(٥) في [أ]: فغرِّق، وفي [ب] و [ج]، و [هـ]: فأهلك.

(٦) في "الدرة البهية": بغُصَّة، وفي [العقود]: بعصية.

ألقاه في اليمّ مكتوفا وقال له إيّاكَ إيّاك أن تبتلّ بالماء

فمثل هذا ليس له إرادة، لا في خير ولا في شر، المصلي ما يُثاب، والصائم ما يُثاب، وسائر أعمال البر مثل أفجر الفجور، وسائر الفجور مثل البر؛ فلا فرق بين أبرِّ الناس وأفجرهم في هذه الأحوال التي فيها أنهم مجبورون.

هذا من لازم أقوالهم، فجيءَ ببعض الناس شرب الخمر، فأتي به عمر رضي الله عنه، فقال: ما حملك على هذا؟ قال: قدر الله علي! قال: وأنا قدر الله علي أن أجلدك ثمانين جلدة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٨) وكـــلُّ كفـــورٍ مـــشركٍ بإلهـــهِ وآخـــرَ طـــاغٍ كـــافرٍ بنبـــوةِ

٥٩) كعـــادٍ ونمـــروذ[1] وقـــومٍ لـــصالح وقـــوم لنـــوح ثـــم أصـــحاب الآيكـــةِ

٦٠) وخاصـــم لموســـى ثـــم ســـائر مـــن أتـــى مـــن الأنبيـــاء محييـــاً للـــشريعة[2]

قال حفظه الله تعالى: يعني الأنبياء، لماذا قاتلوا هؤلاء القوم، إذا كان كذلك موسى نبيكم؛ فأنت معناه ترد عليه؛ لأنه قاتل فرعون بغير حقٍّ في حَدِّ نظرك وأقوالك، فالأنبياء عند الجبرية من لوازم أقوالهم، وأفعالهم أنهم مخطؤون في قتال المشركين؛ لأنهم مجبورون، وما داموا مجبورين ما ذنبهم يقاتلون، وتزهق أرواحهم، وتؤخذ أموالهم؛ فالحقيقة قول الجبرية تلزم منه لوازم كفرية.

---

(١) في [ط]: نمرود.

(٢) في [أ]: من الأنبيا أو محييًا للشريعة.

قوله رحمه الله:

٦١) على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا[1] ونالوا من العاصي[2] بليغ[3] العقوبة

٦٢) وإلا فكلُّ الخلقِ في كلِّ لفظةٍ ولحظةِ عينٍ أو تحرك شعرةٍ[4]

٦٣) وبطشة كفٍّ أو تخطي قُديمةٍ وكلِّ حراكٍ بل وكل[5] سكينةٍ

٦٤) هم تحت أقدار الإلهِ وحكمهِ فما أنت[6] فيما قد أتيت بحجةِ

قال حفظه الله: يثبت له شيخ الإسلام أن كل حركة، وكل سَكَنَة تكون في الكون هي بقدر الله عزوجل، من خيرٍ أو شرٍّ؛ فإنْ لم يقل ذلك، واعتبر الناس مجبورين؛ فإن هذا يكون قد أنكر على الكون كله، أي: من المكلفين ما يحصل منهم من خيرٍ أو شرٍّ؛ يكون هو عبارة عن كلام مضادٌّ للأنبياء، وللرسل، وللصالحين، وسائر المكلفين الذين هم تحت أقدار الله عزوجل.

---

(١) في [أ]: على كونهم إذ جاهدوا الناس أن بغوا.

(٢) في "مجموع الفتاوى": من المعاصي.

(٣) في [عقود]: بلوغ.

(٤) في [هـ]:

(٥) في عقود: بل بكل.

(٦) في [ط] و[عقود] و [أ] و[ج]، و [هـ]: كما.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٥) وَهَبْكَ رفعت اللومَ عن كل فاعلٍ   فعالَ[١] ردىً طرداً[٢] لهذي المقيسةِ

٦٦) فهل يُمْكِننْ[٣] رفعُ الملامِ جميعِهِ   عن الناس طُرّاً عند كلِّ قبيحةِ

قال حفظه الله: يعني هبك أنك رفعت اللوم عن نفسك؛ أفيمكنك أن ترفع اللوم عن كل من يفعل القبائح، أيّ واحد يعمل القبيحة، يأتي واحد يلطمك؛ لا تلومه، أو واحد يأتي ويزني ببعض محارمك؛ لا تلومه، أو واحد يسرق بيتك؛ لا تلومه، لا يمكن أن يقول هذا، لا اليهود، ولا غير اليهود.

---

(١) في [ط]: بغاك.

(٢) في [هـ]: طرًّا.

(٣) في "مجموع الفتاوى": يمكن، وفي [عقود]: تمكنن، و[ج]: ممكنًا.

قولهُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٧) وتـركُ عقوبـات الـذين قـد اعتـدوا   وتـركُ الـورى الإنـصافَ بـين الرعيـةِ

٦٨) فـلا تُـضمنَنْ(١) نفـسٌ ومـالٌ بمثلـهِ   ولا يعقـبن(٢) عـادٍ بمثـل الجريمـةِ

٦٩) وهل في عقـول النـاس أو في طبـاعهم   قبـولٌ لقـول النـذل مـا وجـه حيلتـي

قال حفظه الله: أي: هل كل الناس تقبل مثل هذا الكلام، ويتركون سائر العقوبات: من قصاص، ورجم، وقطع يد السارق، وجلد الزاني البكر، وتأديب وزجر البُغَاة، وغير ذلك، كل شرعية الله عزوجل تُعطل من أجل قول هذا النذل! هذا مُحال.

---

(١) في [ب] و[ج] و[هـ]: فلا يضمنن، وفي [ط]: ولا يضمنن.

(٢) في [عقود] و[ب]: تعقبن.

قولهُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٠) ويكفيك نقصًا ما بجسمِ ابنِ آدمٍ ... صبيٌّ ومجنون وكلُّ بهيمةِ

٧١) من الألم المقضيِّ من[1] غير حيلةٍ ... وفيها يشاء الله أكملُ حكمةِ

٧٢) إذا كان في هذا له حكمةٌ فما ... يُظن[2] بخلق الفعل ثم العقوبة

٧٣) فكيف[3] ومنْ هذا عذاب مُولَّدٌ ... عن الفعلِ فِعل العبد عند[4] الطبيعة

٧٤) كآكِلِ سمٍّ أوجب الموتَ أكلُه ... وكلٌّ بتقديرٍ لرب البرية[5]

٧٥) فَكُفْرُك يا هذا كسمٍّ أكلْتَهُ ... وتعذيبُ نارٍ مثل[6] جرعةِ غصةِ

٧٦) ألست ترى في هذه الدار مَنْ جنى ... يعاقب إما بالقضا أو بشرعة

٧٧) ولا عُذْرَ للجاني بتقدير خالقٍ ... كذلك[7] في الأخرى بلا مَثْنَوِيَّةِ

٧٨) وتقدير ربِّ الخلق للذنب موجِبٌ ... لتقدير[8] عقبى الذنب إلا بتوبةِ

٧٩) وما كان من جنس المتاب لرفعه ... عواقبَ أفعالِ العبادِ الخبيثةِ

---

(١) في [عقود]: في.

(٢) في [عقود]: ظن.

(٣) في [ط] و[ب]: وكيف.

(٤) في [عقود]: عبد.

(٥) في «الدرة البهية»: لرب المشيئة، وفي [ط] و[و]: المشيئة، وفي [ب] و[ج] و[هـ]: المنية.

(٦) في [و]: بعد.

(٧) في [ط]: لذلك.

(٨) في [أ]: كتقدير.

٨٠) كخيرٍ[٢٢٣] بـه تُمحى[٢٢٤] الـذنوبُ ... تُجـاب مـن الجـاني ورُبَّ شـفاعة[٢٢٥]

٨١) وقولُ حليف الشرِّ[٢٢٦]: إني مقدرٌ ... عليَّ كقول الذئب[٢٢٧]: هذي طبيعتي

٨٢) وتقديره للفعل يجلب نقمةً[٢٢٨] ... كتقديره الأشياءَ[٢٢٩] طراً بعلةِ

٨٣) فهل[٢٣٠] ينفعن عُذْرُ[٢٣١] الملوم ... كذا طبعه أم هل يقال لعثرةِ

٨٤) أم الذمُّ والتعذيب أوكد للذي ... طبيعته فعل الشرور الشنيعة

٨٥) فإن كنتَ ترجو أن تجاب بما عسى ... ينجِّيك من نار الإله العظيمةِ

٨٦) فدونك ربَّ الخلقِ فاقْصُدْه ضارعًا ... مريداً لأن يهديْك نحو الحقيقةِ

٨٧) وذلِّل قيادَ النفسِ للحق ... ولا تعرضن عن فكرة مستقيمةِ[٢٣٢]

---

(٢٢٣) في [ط] و[ج]: كخيريَّة، وفي [عقود]: كجبرية.

(٢٢٤) في [ط] و[عقود]: تمحي.

(٢٢٥) في "الدرة البهية": ورَبَّ الشفاعة.

(٢٢٦) في [عقود]: الشعر.

(٢٢٧) في [ب] و [عقود]: الذيب.

(٢٢٨) في "الدرة": نعمة.

(٢٢٩) في [ط] و[ب] و[ج]، و[هـ]: الآثار.

(٢٣٠) في [ط]: وهل.

(٢٣١) في "الدرة البهية": فهل يرفعن ذم الملوم، وفي [أ]: فهل يرفعن ذنب. وفي [ج]: فلم ينفعن عذر الملوم لأنه.

(٢٣٢) في [عقود]: لأنه.

(٢٣٣) في [ط]: فاسمعن.

(٢٣٤) في [ط]: ولا تعص من يدعو لأقوم ريَعة. وفي [أ]: ولا تعص من يدعو لأقوم شرعة.

٨٨) وما بان من حق فلا تتركنَّه ولا تعصِ من يدعو لأقوم شرعةِ[٢٣٥]

قال حفظه الله تعالى: شيخ الإسلام ينصح ذلك اليهودي ويوصيه أنَّ ما بان من الحق لا يتركه، لا يجوز لأحدٍ أن يترك الحق، لا لهذا الذنب ولا لغيره.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦]، هذا في حق المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الدخان:٣٨، ٣٩]، فترك الحق ليس لأحدٍ عذرٌ ألبتة فيه، إلا إذا لم يتبين له الحق، أما يعرفه ويتركه، فلا يجوز له.

ويقول له: لا تعص رسول الله ﷺ الذي يدعو إلى أقوم الشرعة القائل: «وَالَّذِى نَفْسُي بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ، وَلاَ نَصْرَانِىٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»،[٧] فهذا نصح لهذا اليهودي بعد أن دحض حجته، وبين ضلالته، وبين له أن شبهته باطلة، وألزمه بلوازم قوله الفاسد.

---

(٢٣٥) في [ج]: رفعة، وفي [عقود]: رَيْعة.

(٧) رواه مسلم في كتاب الإيمان من "صحيحه" الباب: [٧٢](حديث ٤٠٣).

قولهُ رحمه الله:

٨٩) ودَعْ دِيــنَ ذي العــاداتِ لا تتبَعَنَّــه وعُــجْ عــن ســبيل الأمــةِ الغــضبيَّة

قال حفظه الله تعالى: وأيضًا نصحه بالبعد عن تقليد اليهود المغضوب عليهم، ونصحه بأن لا يكون دينه على العادات، وأن يأخذ دينه من الحق، والهدى، ومن رسول الله ﷺ، وما جاء به؛ فإن الذي يأخذ دينه من العادات والتقاليد يضل.

وهذا يتخذ منه طلاب العلم نموذجًا أن الإنسان إذا ردَّ على مُبْطِل يُتْبِع الردَّ بالنصح له؛ عسى أن يجعل الله في ذلك النصح له بركة.

و(عجْ) بمعنى اعدلْ، وتجنَّبْ، اعدل عن سبيل الأمة الغضبية، قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦، ٧]، المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى بالإجماع، وعليه أدلة من الكتاب والسنة مذكورة في غير هذا الموضع.

قوله رحمه الله:

٩٠) ومن ضل عن حقٍّ فلا تقفونّه(٢٣٦) وزنْ ما عليه الناس بالمَعْدِلية

قال حفظه الله تعالى: القفو هو الاتباع، أي: فلا تقفون، أي: لا تتبعْ من ضل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦]، وقال: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:٣].

فالذي يضل عن سبيله لا يجوز اتباعه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨]، وقال: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم:٢٩].

فلا يجوز قفو الذي يضل عن الحق،كائنًا من كان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٣٥].

وقال عزوجل: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى

(٢٣٦) في "الدرة البهية": فلا تعفونه.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

كل هذه الآيات فيها تحذيرٌ عن قفو واتباع من ضل، قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس:٣٥].

قولهُ رحمه الله: وزن.

أي: زنْ ما عليه الناس بالمعدلية، لا بالضحامة، ولا بالأشكال، ولكن الذي يزن عليه الناس به هو العدل والحق؛ فالناس يوزنون بالحق، وليس الحق يوزن بالناس، ولا بالأكثرية، كلهم يوزن بالحق، من أخذ الحق؛ فهو المصيب، ومن أخذ الباطل؛ فهو المبطل كائن من كان.

قوله رحمه الله:

٩١) هنالك تبدو طالعاتٌ من الهدى ... بتبشير[٢٣٧] من قد جاء بالحنفية

قال حفظه الله تعالى: أي بعد أن تأخذ وتقبل هذه النصائح؛ سترى طالعات الهدى، سترى ما يبشرك بأنك على الحنيفية، وأنك مقبل على الله، وَمُعْرِضٌ عمَّا سواه؛ فهذا الآن جانب التبشير بعد أن يبين له، يبشره ويحثه، دعوة عظيمة يوجهها لهذا اليهودي.

---

(٢٣٧) في [ط] و[أ]: تبشُّر.

قوله رحمه الله:

٩٢) بملــــة إبـــــراهيم ذاك إمامنـــــا وديـــن رســـول الله خـــير البريـــةِ(٢٣٨)

قال حفظه الله: قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠]، وقال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا ﴾ [الحج:٧٨].

وقال النبي ﷺ: «وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»،(٢) نعم، ملته الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[الفتح:٢٨].

---

(٢٣٨) في [أ]: الخليقة.

(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب الفضائل من "صحيحه" [باب: ١٥/ ٦١٦٧].

قوله رحمه الله:

٩٣) فـلا يقبـل الـرحمنُ دينًـا سـوى الـذي بـه جـاءت الرسُـلُ الكـرامُ الـسجيةِ

قال حفظه الله تعالى: كل الرسل من أولهم إلى آخرهم وكل الأنبياء من أولهم إلى آخرهم دعاة للإسلام، دعاة إلى دين الإسلام، إلى الدين الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وسُمِّى الإسلامَ ملة أبيكم إبراهيم؛ فالإسلام بالمعنى العام هو دين جميع الأنبياء، وبالمعنى الخاص هو دين هذه الأمة الناسخ لسائر الأديان.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨].

قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٩٤) وقد جاء هذا الحاشرُ الخاتَم الذي حوى كلَّ خير في[٢٣٩] عموم الرسالةِ

قال حفظه الله: ثبت في "الصحيحين" من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ».

إي والله، حوى كل خير، قال ﷺ «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ».[1]

وثبت أنه ﷺ قال: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ»،[2]

وقال: «مَنْ أَطَاعَنِي؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي؛ فَقَدْ أَبَى».[3]

وقال الله عزوجل: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

---

(٢٣٩) في [أ]: من.

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الطهارة من "صحيحه" [باب: ١٠/ ٤٨٨٢].

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٤/ ١٢٦) عن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، وهو حسن بشواهده.

(٣) رواه الإمام البخاري في كتاب الاعتصام من "صحيحه" [باب: ٢/ ٧٢٨٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التوبة:١٢٨-١٢٩].

قولهُ رحمه الله:

٩٥) وأخبر عن رب العباد بأنَّ مَنْ ... غدا[٢٤٠] عنه في الأخرى بأقبحِ خيبةِ[٢٤١]

٩٦) فهذي دلالاتُ العبادِ لحائر ... وأما هداه فهو فعلُ الربوبةِ[٢٤٢]

قال حفظه الله تعالى: فهذه دلالة العباد، أي: أدلة هذه فيها بيان وحجج على العباد، وتوضيح، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٢٦-٢٧].

أما هداية التوفيق فهي إلى الله سبحانه؛ فهو أعلى وأحكم.

---

(٢٤٠) في [ط] و[أ] و[ج]: عدا.

(٢٤١) في [عقود]: جَنْية.

(٢٤٢) في [عقود]: الربوبية.

قوله رحمه الله:

٩٧) وفَقْدُ الهدى عند الورى لا يفيد(٢٤٣) مَنْ غدا(٢٤٤) عنه بل يجري(٢٤٥) بلا وجه حجةِ

٩٨) وحجـــةُ محـــتجٍّ بتقـــدير ربِّـــه تزيـد(٢٤٦) عـذابًا كاحتجـاج مريـضةِ(٢٤٧)

٩٩) وأمـــا رضـــانا بالقـــضاء فـــإنها أمرنـــا بـــأن نـــرضى بمثـــل المـــصيبةِ

١٠٠) كـــسقمٍ وفقـــرٍ ثـــم ذلٍّ وغُربـــةٍ وما كان مـن مـؤذٍ(٢٤٨) بـدون(٢٤٩) جريمةِ

١٠١) فأمـا الأفاعيـلُ التـي كرهـت لنـا فــلا نــصَّ يــأتي في رضــاها بطاعــةِ

قال حفظه الله تعالى: نظير ذلك قول السفاريني:

---

(٢٤٣) في [عقود]: لا يقيل.

(٢٤٤) في [ط] و[عقود] و[أ] و[ب] و[ج] و[هـ]: عدا.

(٢٤٥) في "مجموع الفتاوى": يُجْزَى، وفي [ط] و[عقود] و[ب]: يجزى.

(٢٤٦) في [عقود] و"الدرة البهية": يزيد، وفي [ط]: مزيد.

(٢٤٧) قال الشيخ السعدي رحمه الله في "الدرة البهية شرح القصيدة التائية" (ص٥٠): وذلك لأنه عمل في الحقيقة جرمين، بل ثلاثة: أحدهما: فعله للذنب. ثانيًا: احتجاجه عليه بالقدر، وهو كذب؛ فإنَّ مضمون الاحتجاج بالقدر يعني أن الله اضطره، وألجأه إليه، وأكرهه عليه، وهو لا يريد الذنب، وهو كذب صريح؛ فإن الله مكنه الترك، بل فتح له باب يصده عن الذنب، وقد أبت نفسه الأكارة بالسوء إلا أن توقعه في الذنب؛ فالملام عليه لا على ربه. ثالثًا: أنه بهذا الاعتذار يكهد لنفسه الإصرار على الذنوب، والإقامة على ما يسخط علَّام الغيوب؛ فإن هذا الاعتذار يهون عليه كل ذنب، كما هو مشاهد.

(٢٤٨) في [عقود]: سوء.

(٢٤٩) في [و]: بغير.

ولـــيس مطلوبًـــا مـــن العبـــد الـــرضى بكـــل مقـــضي ولكـــن بالقـــضا

اي: إن أفعال العباد التي هي من مفعولاتهم، ومما قُضي عليهم، منها ما يرضي، ومنها ما لا يرضي؛ فالذي يرضيه منها الطاعات، والذي لايرضيه منها المعاصي، قال عز وجل: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].(٤)

---

(٤) قال شيخ الإسلام رحمه الله: الأشعري يثبت الصفات كالإرادة، فاحتاج إلى الكلام فيها: هل هي المحبة أم لا؟ فقال: المعاصى يحبها الله ويرضاها كما يريدها. وذكر أبو المعالي أنه أول من قال ذلك، وأهل السنة قبله على أن الله لا يحب المعاصي، وشاع هذا القول فى كثير من الصوفية، فوافقوا جهمًا فى مسائل الأفعال والقدر، وخالفوه فى الصفات، كأبي إسماعيل الأنصاري صاحب "ذم الكلام"؛ فإنه من المبالغين فى ذم الجهمية في نفي الصفات، وله كتاب فى تكفير الجهمية، ويبالغ فى ذم الأشعرية، مع أنهم من أقرب هذه الطوائف إلى السنة، وربما كان يلعنهم.

وقال بعض الناس بحضرة نظام الملك: أتلعن الأشعرية؟ فقال: ألعن من يقول: ليس فى السموات إله، ولا فى المصحف قرآن، ولا فى القبر نبى. وقام من عنده مغضبًا، وهو مع هذا فى مسألة إرادة الكائنات، وخلق الأفعال أبلغ من الأشعرية، لا يثبت سببًا، ولا حكمة، بل يقول: إن مشاهدة العارف الحكم لا يبقي له استحسان حسنة، و لا استقباح سيئة، والحكم عنده هو المشيئة؛ لأن العارف عنده من يصل إلى مقام الفناء، و الحسنة والسيئة يفترقان فى حظ العبد؛ لكونه ينعم بهذه، ويعذب بهذه، والالتفات إلى هذا من حظوظ النفس، ومقام الفناء ليس فيه إلا مشاهدة مراد الحق.اهـ كما في "الفتاوى" (٨/ ٢٣٠).

قوله رحمه الله:

١٠٢) وقد قال قومٌ[٢٥٠] من أولي العلم لا ... بفعلِ المعاصيْ والذنوبِ الكبيرةِ[٢٥١]

١٠٣) فإن إلهَ الخلق لم يرضَها لنا ... فلا نرتضي مسخوطةً لمشيئةِ[٢٥٢]

١٠٤) وقال فريقٌ نرتضي بقضائه[٢٥٣] ... ولا نرتضي المقضيَّ أقبحَ[٢٥٤] خصلةِ

قال حفظه الله تعالى: مقالات القدريين كلها يردها شيخ الإسلام رحمه الله، ويبين فسادها.

---

(٢٥٠) في [ج]: وقد قال ممن أوتي....

(٢٥١) في [عقود] و[و]: الكريهة.

(٢٥٢) في [أ] و[ج] و[هـ]: بمشيئة.

(٢٥٣) في [عقود]: ترتضى لقضائه.

(٢٥٤) في [ط]: خلة، وفي [و]: لأقبح خلة.

قولهُ رحمه الله:

١٠٦) كـما أنهـا للـرب خلـقٌ وأنهـا ــــ لمخلوقـه كـسبٌ كفعـل[٢٥٥] الغريـزة[٢٥٦]

١٠٧) فنـرضى[٢٥٧] مـن الوجـه الـذي هـو ــــ ونـسخط[٢٥٩] مـن وجـه اكتـساب

قال حفظه الله: كلام طيب! أنَّ المعاصي باعتبار أن الله عزوجل قدرها؛ نرضى بما قدر، أما المعاصي فلا نقرها ولا نرضاها، ونؤمن أن الله قدرها، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، ففعل الله يجب الرضى به، وأفعال العباد معاصيه لا يجوز الرضى به.

ونظير ذلك قول السفاريني:

ولـيس واجبًـا عـلى العبـد الـرضى ــــ بكـل مقـضي ولكـن بالقـضا

---

(٢٥٥) في [ج]: لفعل.

(٢٥٦) في "مجموع الفتاوى": (لمخلوقةٍ ليست كفعل الغريزةِ).

(٢٥٧) في [عقود]: فترضى، وفي [ط]: فيرضى.

(٢٥٨) في [و]: حقه.

(٢٥٩) في [ط]: ويسخط، وفي [ج]: وأسخط.

(٢٦٠) في "الدرة البهية": (ونسخط من وجه اكتساب بحيلة)، وكذا في [ط]، و[عقود]، و[ج] و[و].

قوله رحمه الله:

١٠٨) ومعصيةُ العبدِ المكلفِ تركُه لما أمر المولى وإن بمشيئةِ

١٠٩) فإن إله الخلقِ حقٌّ مقالُه بأن عبادي(٢٦١) في جحيم وجنةِ(٢٦٢)

قال حفظه الله تعالى: أي إن العباد محاسبون عن أعمالهم، كُلٌّ بما يستحق على ذلك، أي: إن هذا القول حقٌّ: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧]، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان:٣].

وقال عزوجل: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود:١٠٥-١٠٨]، فهذا حقٌّ لا مِرْيَةَ فيه، أنَّ العبد له مشيئة، إن اختار الخير وسلكه؛ سعد، وإن اختار الشر وسلكه؛ شقي.

---

(٢٦١) في [عقود] و"مجموع الفتاوى": (بأن العباد...)، وفي [أ]: بأن البرايا.

(٢٦٢) في [هـ]: في نعيم وجنة.

قوله رحمه الله:

١١٠) كما أنهم في هذه الدار هكذا ... بل البهم في الآلام أيضًا ونعمة

١١١) وحكمتُه العليا اقتضت ما اقتضت ... فروق بعلمٍ ثم أيدٍ ورحمةِ

١١٢) يسوق أولى التعذيب بالسبب الذي ... يقدّره نحو العذاب[٢٦٣] بعزةِ

١١٣) ويهدي أولي[٢٦٤] التنعيم نحو نعيمهم ... بأعمال صدق في رجاءٍ وخشيةِ

قال حفظه الله تعالى: قال الله عزوجل: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، أي: يهديه إلى النعيم بأعماله الصادقة الخالصة، بأعمال صدقه، قال تعالى: ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩].

فيهديه إلى النعيم بسبب صدقه، يهديه ويوفقه، وكل من عمل صالحًا هداه الله بصلاحه.

---

(٢٦٣) في [هـ]: العتاب.

(٢٦٤) في [ط]: إلى.

قوله رحمه الله:

١١٤) وأمرُ إلـه الخلق بيَّن(٢٦٥) ما بـه ... يسوق أولي التنعيم نحو السعادةِ

١١٥) فمن كان من أهل السعادة أثَّرت ... أوامرُه فيه بتيسير(٢٦٦) صنعةِ

١١٦) ومن كان من أهل الشقاوة لم يَنَلْ(٢٦٧) ... بأمر ولا نهي بتيسير(٢٦٨) شقوةِ

قال حفظه الله تعالى: يشير إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه المتفق عليه: «فوالله الذي لا إله إلا هو، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى لاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلاَّ ذِرَاع...» الحديث.(٢)

ويشير كذلك إلى ما في سورة هود ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ

---

(٢٦٥) في [ط] و[أ] و[هـ]: تبين.

(٢٦٦) في [هـ]: بتدبير.

(٢٦٧) في [عقود] و[هـ]، و"مجموع الفتاوى": لم ينل.

(٢٦٨) في [ط] و[أ]: بتقدير.

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد من [باب: ٢٨/ ٧٤٥٤] عن عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى لاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا».

رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٥-١٠٨]، وقد تقدم ذكرها.

قوله رحمه الله:

١١٧) ولا مخرجٌ للعبد عما به قضى ولكنه مختارُ حُسْنٍ وسوأة

قال حفظه الله تعالى: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».(٣)

---

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه" [باب:٧/ ٤٩٤٩]، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ الآيَةَ، وأخرجه مسلم في "صحيحه" [كتاب القدر (باب:١/ ٢٦٠٣].

قولهُ رحمه الله:

١١٨) فليس بمجبورٍ عديمِ إرادةٍ[٢٦٩]×[٢٧٠] ولكنه شاءٍ بخلق الإرادة[٢٧١]

١١٩) ومن أعجبِ الأشياءِ خلقُ مشيئةٍ بها صار مختارَ الهدى والضلالة[٢٧٢]

---

(٢٦٩) في "مجموع الفتاوى" عديم الإرادة، وفي [أ]: أراده.

(٢٧٠) قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "الفتاوى" (٨/ ٤٥٩-٤٦١): فلم يكن من السلف والأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعل، ولا مختار، ولا مريد، ولا قادر. ولا قال أحد منهم: إنه فاعل مجازًا. بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة، والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله.

وأول من ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان وأتباعه، فحكى عنهم أنهم قالوا: إن العبد مجبور، وأنه لا فعل له أصلًا، وليس بقادر أصلًا، وكان الجهم غاليًا في تعطيل الصفات، فكان ينفي أن يُسَمَّى الله تعالى باسم يُسَمَّى به العبد، فلا يُسَمَّى (شيئًا، ولا حيًّا، ولا عالما، ولا سميعًا، ولا بصيرًا) إلا على وجه المجاز، وحكي عنه أنه كان يُسَمِّي الله تعالى قادرًا؛ لأن العبد عنده ليس بقادر؛ فلا تشبيه بهذا الاسم على قوله، وكان هو وأتباعه ينكرون أن يكون لله حكمة في خلقه وأمره، وأن يكون له رحمة، ويقولون: إنما فعل بمحض مشيئة، لا رحمة معها. وحُكِي عنه أنه كان ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين، وأنه كان يخرج الى الجذمى فينظر إليهم، ويقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا بهؤلاء. وكان يقول: العباد مجبورون على أفعالهم، ليس لهم فعل ولا اختيار. وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات، وفي الجبر، والإرجاء في أواخر دولة بني أمية، بعد حدوث القدرية والمعتزلة وغيرهم؛ فإن القدرية حدثوا قبل ذلك، في أواخر عصر الصحابة، فلما حدثت مقالته المقابلة لمقالة القدرية؛ أنكرها السلف والأئمة، كما أنكروا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم، وبدعوا الطائفتين، حتى في لفظ الجبر، أنكروا على من قال (جبر)، وعلى من قال: (لم يجبر).اهـ

(٢٧١) في [ط]: إرادة.

(٢٧٢) في "مجموع الفتاوى" بالضلالة....

١٢٠) فقولك هل أختار تركًا لحكمه كقولك هل أختار ترك المشيئة[٢٧٣]

قال حفظه الله تعالى: معناه تنفي عن نفسك المشيئة.

---

(٢٧٣) في "مجموع الفتاوى": (... كقولك: هل أختار ترك المشيئة)، وفي "الدرة البهية": (... لحكمه كقولك: هل أختار ترك مشيتي)، وفي [ط]: مشيئةِ.

قوله رحمه الله:

١٢١) وأختار[٢٧٤] لا أختار فعل ضلالة ولو نلت هذا الترك فزت بتوبة[٢٧٥]

قال حفظه الله تعالى: يعني فلو اخترت أن تفعل الضلال؛ لفزت بتوبة من هذا الضلال الذي أنت فيه.

---

(٢٧٤) في [ط] و[عقود]: (واختار أن لا أختار).

(٢٧٥) قال شيخ الإسلام رحمه الله: ليس العمل عوضًا، وثمنًا كافيًا فى دخول الجنة، بل لابد من عفو الله، وفضله، ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعف البركات.

وفي هذا الموضع ضل طائفتان من الناس: فريق آمنوا بالقدر وظنوا أن ذلك كافٍ فى حصول المقصود، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية، والأعمال الصالحة، وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله ورسله ودينه، وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر، مُتَّكِلين على حولهم وقوتهم وعملهم، وكما يطلبه المماليك. وهؤلاء جهال ضلال؛ فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به؛ ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وهو سبحانه كما قال: «ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»؛ فالملك إذا أمر مملوكيه بأمر أمرهم لحاجته إليهم، وهم فعلوه بقوتهم التي لم يخلقها لهم، فيطالبون بجزاء ذلك، والله تعالى غني عن العالمين؛ فإنْ أحسنوا أحسنوا لأنفسهم، وإن أساءوا فلها، لهم ماكسبوا، وعليهم ما اكتسبوا، من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.اهـ كما في "الفتاوى" (٨/ ٧٠-٧١).

قوله رحمه الله:

١٢٢) وذا ممكـــن لكنـــه متوقـــف   عـلى مـا يـشاء الله مـن ذي المـشيئة[٢٧٦]

قال حفظه الله تعالى: أي إن اختيارك للهدى، وللبعد عن الضلال ممكن، لكن مشيئتك تابعة لمشيئة الله لك، فاسأل الله من فضله.

قوله رحمه الله:

١٢٣) فدونك فافهم ما بـه قـد أُجِبْـتَ مِـنْ   معـــانٍ إذا انحلـــت بفهـــم غريـــزة

١٢٤) أشـارت إلى أصـل يـشير إلى الهـدى   ولله رب الخلـــق أكمـــل[٢٧٧] مدحـــةِ

١٢٥) وصـــلى إلــه الخلــق جــل جلالــه   عـلى المـصطفى المختـار خـير البريـة[٢٧٨]

انتهت والحمد لله بتاريخ أول شهر شعبان (١٤٢٩هـ)

---

(٢٧٦) في [أ]: المشيَّة.

(٢٧٧) في [هـ]: أدوم.

(٢٧٨) هذا البيت ساقط في جميع النسخ إلا في ”مجموع الفتاوى“ و”العقود“.

الْفَهْرَس

الْمُقَدِّمَة ٢

تَرْجَمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِشَيْخِ الإِسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ ٣

اسْمُ الْقَصِيْدَةِ وَبَحْرِهَا ٤

نِسْبَةُ الْقَصِيْدَةِ إِلَى شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ ٥

اسْمُ السَّائِلِ وَعَدَدُ أَبْيَاتِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ٨

عَدَدُ أَبْيَاتِ السُّؤَالِ وَعَدَدُ أَبْيَاتِ الْجَوَابِ ١٣

شُرُوحُ الْقَصِيْدَةِ التَّائِيَّةِ ١٤

ذِكْرُ مَنْ رَدَّ عَلَى السَّائِلِ غَيْرِ شَيْخِ الإِسْلام ١٥

وَصْفُ النُّسَخ ٢١

النسخة الأولى ٢١

النسخة الثانية ٢٢

النسخة الثالثة ٢٣

النسخة الرابعة والخامسة ٢٣

النسخة السادسة ٢٥

النسخة السابعة ٢٦

النُّسَخُ الْمَطْبُوعَةُ ٢٧

النُّسَخُ الْمُعْتَمَدَة فِي هَذَا الشَّرْح ٣٠

ملحوظات وتنبيهات ٣١

صور المخطوطات ٣٤

نَصُّ السُّؤَال ٤٧
نَصُّ جَوَابِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى السُّؤَالِ ٤٨
قوله: سؤالك يا هذا سؤال معاند ٦٣
قوله: فهذا سؤالٌ خَاصم الملأَ العُلى ٦٥
قوله: ومن يك خصمًا للمهيمن يرجعن ٦٦
قوله: ويدعى خصومُ اللهِ يومَ معادهم ٦٧
قوله: سواءٌ نفوه أو سعوا ليخاصموا ٧٧
قوله: وأصلُ ضلالِ الخلقِ من كل فرقةٍ ٧٧
قوله: فإنهموا لم يفهموا حكمةً له ٨٠
قوله: فإن جميعَ الكونِ أوجب فِعْلَه ٨٣
قوله: وذات إله الخلق واجبة بما ٨٤
قوله: مشيئتُه مَعْ عِلْمِه ثم قدرة ٨٥
قوله: وإبداعُه ما شاء من مُبدَعاته ٨٨
قوله: ولسنا وإن قلنا جَرَتْ بمشيئة ٨٩
قوله: بل الحقُّ أن الحكمَ لله وحده ٨٩
قوله: هو المَلِكُ المحمودُ في كلِّ حالةٍ ٩٠
قوله: فما شاء مولانا الإلهُ فإنه ٩١
قوله: وقدرتُه لا نقص فيها وحكمه ٩٢
قوله: أُرِيْدُ بذا أن الحوادثَ كلَّها ٩٢
قوله: ومالكُنا في كلِّ ما قد أراده ٩٣

قوله: فإن له في الخلق من نعم سرت ٩٤
قوله: أمورًا يحار العقل فيها إذا رأى ٩٤
قوله: فنؤمنُ أن الله عزَّ بقدرةٍ ٩٤
قوله: فنثبت هذا كلَّه لإلهنا ٩٤
قوله: وهذا مقام طالما عجز الأُلى ٩٤
قوله: وتحقيقُ ما فيه بتبيين غوره ٩٥
قوله: هو المطلب الأقصى لِوُرَّاد بحره ٩٥
قوله: لحاجته تبيينَ علمِ مُحقَّقِ ٩٥
قوله: وأسمائه الحسنى وأحكام دينه ٩٥
قوله: وهذا بحمد الله قد بان ظاهرًا ٩٥
قوله: وقد قيل في هذا وخُطَّ كتابُه ٩٧
قوله: فقولك لِمْ قد شاء مثل سؤالِ مَنْ ٩٩
قوله: وذاك سؤال يبطل العقلُ وَجْهَهُ ٩٩
قوله: وفي الكون تخصيصٌ كثيرٌ يدلُّ من ١٠١
قوله: وإصدارُه عن واحد بعد واحد ١٠١
قوله: ولا ريبَ في تعليق كلِّ مُسَبَّبِ ١٠٢
قوله: بل الشأنُ في الأسبابِ أسبابِ ما ترى ١٠٢
قوله: وقولك: لِمْ شاء الإلهُ هو الذي ١٠٣
قوله: فإن المجوسَ القائلين بخالق ١٠٣
قوله: سؤالهم عن علة السرّ أوقعت ١٠٥

قوله: وأن ملاحيدَ الفلاسفةِ الأُلى ١٠٦
قوله:بغوا علة في الكون بعد انعدامه ١٠٦
قوله: وإن مبادي الشر في كل أمة ١٠٧
قوله: بخوضهموا في ذاكُمُ صارشركهم..... ١٠٨
قوله: ويكفيك نقضاً أن ما قد سألتَهُ ١٠٩
قوله: فأنت تعيب الطاعنين جميعهم..... ١١٠
قوله: وتَنْحل من والاك صَفْوَ مودةٍ ١١١
قوله: وحالهم في كل قول وفعلة ١١١
قوله: وهَبْك كففتَ اللومَ عن كل كافرٍ ١١١
قوله: فيلزمك الإعراضُ عن كل ظالمٍ..... ١١١
قوله: فلا تغضبن يومًا على سافك دمًا ١١٢
قوله: ولا شاتمٍ عِرْضًا مصونًا وإن علا..... ١١٢
قوله: ولا قاطع للناس نهجَ سبيلِهم..... ١١٣
قوله: ولا شاهدٍ بالزور إفكًا وفريةً..... ١١٣
قوله: ولا مهلك للحرث والنسل عامدًا..... ١١٣
قوله: وكُفَّ لسان اللوم عن كل مفسدٍ..... ١١٣
قوله: وسهِّل سبيل الكاذبين تعَمُّدًا ١١٣
قوله: وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم ١١٣
قوله: وجادل عن الملعونِ فرعونَ إذ طغى ١١٣
قوله: وكلِّ كفورٍ مشركٍ بإلهِهِ..... ١١٥

قوله: كعادٍ ونمروذ وقومٍ لصالح ١١٥
قوله: وخاصم لموسى ثم سائر من أتى ١١٥
قوله: على كونهم قد جاهدوا الناس إذ ١١٦
قوله: وإلا فكلُّ الخلقِ في كلِّ لفظةٍ ١١٦
قوله: وبطشة كفٍّ أو تخطي قُديمةٍ ١١٦
قوله: هم تحت أقدار الإلهِ وحكمهِ ١١٦
قوله: وَهَبْكَ رفعت اللومَ عن كل فاعلٍ ١١٧
قوله: فهل يُمْكِنَنْ رفعُ الملامِ جميعِهِ ١١٧
قوله: وتركُ عقوبات الذين قد اعتدوا ١١٨
قوله: فلا تُضمنَنْ نفسٌ ومالٌ بمثلهِ ١١٨
قوله: وهل في عقول الناس أو في طباعهم ١١٨
قوله: ويكفيك نقضًا ما بجسمِ ابنِ آدمٍ ١١٩
قوله: من الألم المقضيِّ من غير حيلةٍ ١١٩
قوله: إذا كان في هذا له حكمةٌ فما ١١٩
قوله: فكيف ومِنْ هذا عذاب مُولَّدٌ ١١٩
قوله: كآكِلِ سمٍّ أوجب الموتَ أكلُه إلى قوله: وما بان من حق فلا تتركنَّه.. ١١٩
قوله: ودَعْ دِينَ ذي العاداتِ لا تتبَعَنَّه ١٢٢
قوله: ومن ضل عن حقٍّ فلا تقفونَّه ١٢٣
قوله: هنالك تبدو طالعاتٌ من الهدى ١٢٥
قوله: بملة إبراهيم ذاك إمامنا ١٢٦

قوله: فلا يقبل الرحمنُ دينًا سوى الذي ١٢٧
قوله: وقد جاء هذا الحاشرُ الخاتَم الذي ١٢٨
قوله: وأخبر عن رب العباد بأنَّ مَنْ ١٢٩
قوله: فهذي دلالاتُ العبادِ لحائر ١٢٩
قوله: وفَقْدُ الهدى عند الورى إلى قوله: فأما الأفاعيل التي كرهت لنا ١٣٠
قوله: وقد قال قومٌ من أولي العلم لا إلى قوله: وقال فريق نرتضي بقضائه.. ١٣٢
قوله: كما أنها للرب خلقٌ وأنها ١٣٣
قوله: فنرضى من الوجه الذي هو ١٣٣
قوله: ومعصيةُ العبدِ المكلفِ تركُه ١٣٤
قوله: فإن إله الخلقِ حقَّ مقالُه ١٣٤
قوله: كما أنهم في هذه الدار إلى قوله: ويهدي أولي التنعيم نحو نعيمهم ١٣٥
قوله: وأمرُ إله الخلق بيَّن ما به إلى قوله: ومن كان من أهل الشقاوة لم يبل.. ١٣٦
قوله: ولا مخرجٌ للعبد عما به قضى ١٣٧
قوله: فليس بمجبورٍ عديمِ إرادةً إلى قوله: فقولك هل أختار تركًا لحكمه . ١٣٨
قوله: وأختار لا أختار فعل ضلالة..... ١٤٠
قوله: وذا ممكن لكنه متوقف..... ١٤١
قوله: فدونك فافهم ما به قد أُجبْتَ مِنْ إلى قوله: وصلى إله الخلق ١٤١